كلنا سوريون
سياسية ثقافية نصف شهرية

٤/ شباط / ٢٠١٥ | العدد ـ ٢٤ ـ السنة الأولى | ١٢ صفحة | newspaper.allsyrians.org

نحاول أن تكون فضاءً إعلاميّاً مفتوحاً على الشأن السوريّ، وتشارك السوريّين حياتهم في بلاد النزوح، ونسعى لأن تكون ساحة لتبادل الرأي وتبادل المعلومة، محاولة جادّة للمساهمة في صناعة إعلام سوريّ جديد وجدّي، يساهم بدوره في صياغة وعي وطنيّ سوريّ جامع، يؤسّس لصياغة الهويّة الوطنيّة الجامعة .

إيران تستبيح الأرض وإسرائيل تستبيح السماء
عرض هزيل وأداء باهت في مسرح موسكو
العمل الإغاثيّ بين المأسسة والارتجال

النظام السوريّ ما بين «القنيطرة» و «موسكو»

أخيراً ردَّ حزب الله على إسرائيل باستهداف دوريّة عسكريّة لها في مزارع «شبعا» المحتلّة، نتج عنها مقتل جنديّين وجرح عدد منهم، ورغم أنّ وزير الدفاع الإسرائيليّ «موشي يعلون» أعلن عن رسالة أرسلها «حزب الله» عبر قوّات الأمم المتّحدة إلى الحكومة الإسرائيليّة عقب العمليّة مباشرة، ويعلن فيها الحزب أنّه حريص كلّ الحرص على عدم التصعيد، وكأنّه يقول للإسرائيليّين:

(مرقولنا ياها هالمرّة بس يا شباب) محاولاً بذلك استعادة القليل من ماء الوجه الذي سُفح مراراً منذ «عماد مغنيّة» وحتّى حادثة «القنيطرة» التي قتل فيها سبعة من قياديّي الحزب وعناصره بينهم ضابط إيرانيّ برتبة عالية.

ماذا كان يفعل عناصر من حزب الله وإيران في القنيطرة؟؟؟

ولماذا قبلت إسرائيل رسالة حزب الله وأنهت الموضوع؟؟؟

ولماذا ظهر النظام السوريّ وكأنّه آخر من يهتمّ الآخرون لأمره؟؟؟

على الرغم من أنّ الأرض التي يتحارب فوقها الآخرون هي أرض سوريّة؟؟؟.

يبدو أنّ النظام السوريّ سلّم الإيرانيّين كلّ شيء لدرجة أنّهم لم يعودوا مهتمّين حتّى بإخراج هذه التبعيّة بشكل لائق إعلاميّاً، لم يعد هناك اعتبار للسيادة السوريّة على الأقلّ أمام السوريّين ولم يعد مهمّاً «حتّى كذباً» إيهامنا أنّ هناك بقيّة من سيادة سوريّة على أرض سورية.

إيران وحزب الله وإسرائيل يتصرّفون على الأرض السوريّة كما يرغبون، والنظام السوريّ لم يعد أكثر من واجهة هشّة، فقدت حتّى الحدّ الأدنى من الاعتبار، وما جرى ويجري من قصف إسرائيليّ للمواقع السوريّة في دمشق، وعلى امتداد المساحة السوريّة وصولاً إلى حادثة القنيطرة الأخيرة، كلّ هذا أصبح مرهوناً بصراع الاستراتيجيّات الإيرانيّة الإسرائيليّة وغيرها.

لكنّ المفارقة الغريبة جدّاً، أنّ هذا النظام الذي يتعامل معه الآخرون بكلّ استهتار واستصغار يتصرّف بعنجهيّة صفيقة حيال السوريّين، حتّى حيال أولئك السوريّون الذين يمكن أن يتصاغروا أمامه، وأن يقبلوا منه فتات الفتات.

في موسكو التي استضافتْ مؤخّراً لقاءً تشاوريّاً بين الحكومة السوريّة ووفد أُطلق عليه (وفد المعارضة السوريّة) كان المشهد مذلّاً، احتشد السوريّون «بصفتهم طرفين» على طاولة اللعبة الروسيّة التي رتّبها وحشد لها الروس طويلاً، بمشهد لا يليق بسورية، ولا بتاريخها ولا بشعبها ولا بثورتها، بدا الأمر كما لو أنّ تلاميذ مدرسة يقفون بانتظار تعليمات مدير مدرستهم المتغطّرس.

إذا كان النظام السوريّ قد أتقن طوال عقود حكمه إذلال السوريّين، وسحق كرامتهم، فالسؤال الذي يحرق الدم، لماذا قبِل هؤلاء الذاهبون بصفتهم «معارضون» بكلّ هذا الإذلال؟؟؟

لماذا قبلوا أيضاً بإذلال الروس لهم؟؟

ولماذا صمتوا على استقواء وفد الحكومة السوريّة بالروس لإذلالهم أيضاً؟

لم يقبل وفد النظام السوريّ حتّى نقاش الحدّ الأدنى من الأفكار التي قدّمها (المعارضون) السوريّون، وحتّى ملفّ إغاثة السوريّين المنكوبين رفضوا نقاشه، وطلبوا من وفد المعارضة تسليم ما لديهم إلى الجهة الروسيّة؛ كم كان المشهد هزيلاً؟! وكم كانت مأساة السوريّين وثورتهم وكرامتهم مُهانة على طاولة موسكو.

نظام لا يتجرّأ أن يعترض على استباحة الآخرين لأرضه، الآخرون الذين يحتلّون حتّى غرف نوم قيادات هذا النظام، بينما يدعس بكلّ صفاقة على وجع السوريّين ومصيرهم.

بسّام يوسف

تحقيقات العدد

- السكن تحت أشجار الزيتون ص٦
- مخيّمات الموت تنادي الأحياء، فهل من منقذ لها؟ ص٦
- الحلم الأوّل للصانع الأوّل ص٧
- مجزرة النّهر ص٧
- بسمة على الجدران ص٧

الثورة السوريّة بين حرب الاستنزاف وتجارة الأسلحة...
ص ٨

وأمّا في لبنان فالسوق ازدهر بعشرة أضعافه، كذلك ازداد بشكل ملحوظ عدد العاملين بمهنة تجارة السلاح وتهريبه لما تؤمّنه من أرباح ومردود مادّي لفئة المغامرين العاملين في هذه المهنة المعقّدة، ناهيك عن حقول الألغام التي زرعتها قوّات النظام على طول الحدود البريّة الشرقيّة والشماليّة مع لبنان... **أمير نجم الدين**

حلب مدينة النساء والعجائز
ص ٩

ربّما سيبقى هذا الأمر مقبولاً ـ نوعاً ما ـ حتّى السنة القادمة، لكنّه لن يكون كذلك أكثر، وسيترك آثاراً سلبيّة جمّة على نواحٍ مختلفة، ولربّما بدأت تلك الآثار في الظهور على السطح منذ الآنَ، ولكنّها لاتزال غير متفاقمة للحدّ الأسوأ. **ريم الحاج**

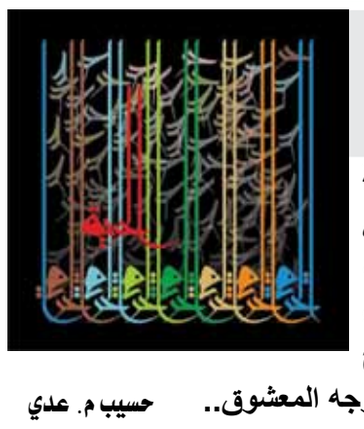

النقطة كنبراس
ص ١١

«أردت الوصول إلى النقطة فرأيت الخطّ العربيّ قد سبقني إليها» بابلو بيكاسّو قال ذلك، لأنّ «النقطة» عند أكثر العرفاء وحسب لغتهم الرمزيّة كاصطلاح «الخال» الذي هو الوحدة على وجه المعشوق.. **حسيب م. عدي**

هل حقق الغرب أهدافه في سوريّة
ص ٢

مبادرة المبعوث الأمميّ والتي تنصّ على تجميد القتال في حلب، بحجّة تسهيل مرور المساعدات الإنسانيّة لحلب – التي وصفها «دي ميستورا» بمدينة العالم ـ حجر المبادرة هو تجميد القتال، أي بقاء المناطق المسيطر عليها من قبل المعارضة بيد المعارضة، وبقاء المناطق المسيطر عليها من قبل النظام بيده، والضمانات كما قال المبعوث هو إيمان جميع الأطراف بالله!

محمّد الحاج

أزمة الأحزاب السياسيّة في سوريّة
ص ٣

جاءت بعض الردود على موضوع <<نحو بناء جسور بين القوى السياسيّة في سورية>> الذي طرحناه في العدد السابق من صحيفة «كلّنا سوريّون» طويلة نسبيّاً، أي بما يعادل مقالة، ورأينا أن نستكمل الحوار ـ كما وعدناكم ـ عبر نشرها، مع كلّ الشكر والاحترام.

حسن النيفي/ الحزب الوطنيّ للعدالة والدستور (وعد): يكتنف مفهوم (الحزب) في الوسط الاجتماعيّ السوريّ المزيد من الضبابيّة والريبة في الفهم، ولعلّ مردّ ذلك إلى انعدام الثقافة الحزبيّة لدى السوريّين طيلة نصف قرن، وذلك نتيجة تصحّر الحياة السياسيّة جرّاء الحكم الاستبداديّ الذي مورس بحقّ السوريّين.

حوار العدد مع المعارض السوريّ عُقاب يحيى
ص ٥

عُقاب يحيى، معارض سوريّ، عضو الهيئة السياسيّة للائتلاف الوطنيّ السوريّ لقوى الثورة والمعارضة.

في سعيها لفتح فضاءات الحوار السوريّ، التقت صحيفة «كلّنا سوريّون» مع المعارض السوريّ عُقاب يحيى، وكان الحوار التالي:

- الإرهاب يفتك بالشعب السوريّ، عبر النظام ومعه تنظيمات أخرى مثل «داعش»، الأطراف الإقليميّة والدوليّة تدّعي محاربة الإرهاب، كيف تقيّمون الواقع السوريّ اليوم؟ وما هو دوركم في مواجهة الإرهاب فعليّاً؟

عُقاب يحيى: الإرهاب نتاج مجموعة عوامل موضوعيّة، وأخرى بفعل ذاتيّ يقترب من الاختراق والتصنيع. عقود فوات وفشل، وخيانة المشروع...

حاوره بشّار فستق

هل حقّق الغرب أهدافه في سورية

انتهى عام ٢٠١٤ بزخم المبادرات الدوليّة والتي تهدف – لإنهاء الأزمة السوريّة - كما يحلو لهم تسميتها، واستمرّ النقاش بتلك المبادرات التي لم يبتّ بأمرها بعد في عام ٢٠١٥، مبادرة المبعوث الأمميّ «ستافان دي ميستورا» ومبادرة «موسكو ١» ومبادرة مصر لردم هوّة الخلاف بين أطياف المعارضة.

ولكن هل من الممكن أن تكون إحدى تلك المبادرات هي الحلّ السحريّ لسورية؟ وهل أيّة مبادرة منها يمكن أن تحقّق جزءاً من طموحات الشعب السوريّ؟

مبادرة المبعوث الأمميّ والتي تنصّ على تجميد القتال في حلب، بحجّة تسهيل مرور المساعدات الإنسانيّة لحلب – التي وصفها «دي ميستورا» بمدينة العالم - حجر المبادرة هو تجميد القتال، أي بقاء المناطق المسيطر عليها من قبل المعارضة بيد المعارضة، وبقاء المناطق المسيطر عليها من قبل النظام بيده، والضمانات كما قال المبعوث هو إيمان جميع الأطراف بالله!

ما يعني تقديم طبق من ذهب للنظام لتحويل جميع ميليشياته التي تقاتل على جبهات حلب إلى دمشق بشكل محدّد، وتضييق الحصار على الغوطتين هناك وإعادة السيطرة عليها، وبعدها الاتّجاه نحو درعا التي تتسارع فيها الأحداث لصالح المعارضة والتي تتقدّم بها بشكل سريع ومنظّم، وبعد ذلك انتهاء مدّة تجميد حلب ووضع ثقل النظام على المناطق المحرّرة من المدينة والسيطرة عليها مجدّداً.

الدردشة السياسيّة في موسكو كما أطلق عليها الائتلاف، مبدؤها الذهاب لموسكو واجتماع وفديّ النظام والمعارضة (وفد المعارضة يتمّ تحديده من قبل موسكو) لردم الهوّة بين الطرفين، وبعد ردمها، يبدأ الحديث عن مؤتمر شبيه بمؤتمر جنيف٢ للسلام الذي فشل في العام الفائت، الملفت بهذه «الدردشة» هو إصرار موسكو على «حوار غير مشروط» وعدم مناقشة مستقبل الأسد، وعدم التطرّق لتشكيل حكومة انتقاليّة ذات صلاحيّات واسعة.

أي، الحديث سيكون حول «كيفيّة عودة المعارضين لحضن الوطن أو النظام» وهو بشكل مؤكّد لا يرقى لطموحات السوريّين.

مصر الآن تسعى لإعادة دورها المحوريّ في الشرق الأوسط وذلك بعد أن بدأ الاستقرار السياسيّ - ولو كان بشكل غير نهائيّ - ولذلك وجّهت عدّة دعوات لجميع أطياف المعارضة السياسيّة الموجودة في سورية منها هيئة التنسيق والائتلاف، وذلك لعقد اجتماعات للخروج بمسوّدة نهائيّة تجمعهم بأيّ مؤتمر قادم. انتهت تلك الاجتماعات ولم يصدر إلى الآن أيّ تصريح واضح حول الاتّفاق الذي تمّ خلال اجتماع القاهرة.

إشاعات تكاد تكون مؤكّدة، قالت: إنّ عمل وحدة تنسيق الدعم توقّف بشكل نهائيّ، وعمل الحكومة المؤقّتة ببداية هذا العام سيكون بشكل تطوّعيّ، وتهديدات للائتلاف بقطع الدعم عنه بشكل كامل، ما هي إلّا ضغوطات على المعارضة التي - لا حول ولا قوّة لها - للقبول بإملاءات السعوديّة أوّلاً وآخراً.

ممّا يعني القبول بأيّة مبادرة يتمّ الاتّفاق عليها من تحت الطاولة بين الدول العظمى.

موسكو تريد بقاء مصالحها في سورية، وإيران – التي بدأت بالتخصيب بشكل سرّيّ - كذلك الأمر، أمّا الدول الأوربّيّة والإقليميّة فجميعها بانتظار أوامر واشنطن، إلّا أنّ الأخيرة لا مصالح لها في سورية، ولذلك هي غير مهتمّة بالشأن السوريّ حاليّاً.

هذا الكلام يعني استمرار الوضع السوريّ إلى وقت ليس بالقصير، فسورية حاليّاً باتت منطقة تصافٍ وتحدٍّ بين الدول الكبرى، روسيا تريد استعادة ثقلها الدوليّ، وأميركا تحاربها في سورية.

لبنان والجزائر والأردنّ، فرضوا تأشيرة دخول على السوريّين، أمّا تركيا فألغت استثناء دخول السوريّين إليها في حال انتهاء مدّة جواز السفر، بل أيضاً عملت على رفض استقبال أيّ سوريّ عبر مطاراتها إن لم يكن جواز سفره ساري المفعول لمدّة ٣ أشهر على الأقل.

إذاً، هي خطوات من قِبل الدول التي يلجأ إليها السوريّ للتضييق عليه، بمعنى آخر، الضغط على الشعب السوريّ أيضاً للقبول بأيّ حلّ وإن لم يحقّق طموحاته.

على ما يبدو أنّ المجتمع الدوليّ قرّر أن ينهي الوضع السوريّ، بأيّ شكل. ربّما، تخفيض سعر النفط سيضغط على روسيا وإيران للقبول بحلّ يُفرض عليهم من قبل الدول الغربيّة وأميركا.

ربّما، لن يُؤخذ بأيّ من المبادرات التي ذُكرت آنفاً في هذا المقال، ولكن التوقّعات تجري بأنّ يعقد مؤتمر شامل لجميع الأطراف عبر موسكو لوضع حجر الأساس لإنهاء المأساة السوريّة، والذي ستكون نتائجه ليست لصالح النظام ولا المعارضة ولا حتّى الشعب السوريّ، بل ستكون نتائجه لصالح أحد الأطراف المشاركة في - حرب الوكالة - في سورية، هذا الكلام لا يعني انتهاء الوضع السوريّ خلال العام الحاليّ، بل من الممكن والمتوقّع أن يمتدّ للعام القادم.

محمّد الحاج

فتنة تحت الرماد

أحياناً نسمع من البعض أنّ المجتمع السوريّ قبل الثورة كان يعيش حياة هانئة نوعاً ما، وأنّ البنية الاجتماعيّة السوريّة رغم تنوّعها وتعدّد ثقافاتها وطوائفها كانت تتعايش مع بعضها البعض بصورة متناغمة.

إلّا أنّ الحقيقة كانت خلاف ذلك تماماً، فالسلم الأهليّ المزعوم الذي تغنّى به البعض من ذوي التفكير السطحيّ، كان مجرّد سلم وهميّ سكونيّ تمّ ضبطه وفق إرادة السلطة التي حكمت سوريّة لعقود من الزمن.

لأنّ السلم الأهليّ الحقيقيّ المنشود لو تحقّق فعلاً لزرع الأمن والطمأنينة في نفس المواطن وعزّز التواصل الاجتماعيّ بين مكوّنات المجتمع المتعدّدة، وعزّز التعدّديّة السلميّة وجعل من هذه التعدّديّة مصدراً لغنى المجتمع الثقافيّ.

إلّا أنّ واقع المجتمع السوريّ كان عكس ما ذُكر، فعلى المستوى الفرديّ كان الخوف هو الهاجس المسيطر على المواطن السوريّ، وكانت فروع الأمن مصدراً لبثّ الرعب في نفسه، إذ لم يكن بمقدور المواطن أيّاً كان مستواه الثقافيّ أو درجته الوظيفيّة التعبير عن رأيه بحريّة وكان مكرهاً على التملّق للسلطة الحاكمة لأغراض شتّى، فكثيراً ما كنت ترى مسؤولاً رفيع المستوى يهزّ بمسبحته على رأس الدبكة المعقودة بمناسبة مبايعة الحاكم، وذلك طمعاً بأن يتبوّأ موقعاً أهمّ من الموقع الذي يشغله أو على الأقلّ كي يحافظ على ذاك الموقع.

زدْ على ذلك أنّ كلّ مواطن سوريّ كان يخاف من نظيره السوريّ عندما يتعلّق النقاش بسياسة الدولة أو بالسلطة الحاكمة، فقد جنّدت السلطات الأمنيّة مئات الآلاف من السوريّين لكتابة التقارير حتّى وإن كانت ملفّقة مقابل مبالغ ماليّة أو مقابل تمتّع هذا المخبر بالحظوة لدى مراكز القوّة والنفوذ، إذ كانت سوريّة بحقّ جمهوريّة الرعب، الرعب حتّى من الجدران، والتي أصبحت ذات آذانٍ صاغية في عهد الطغمة الحاكمة، فلم يكن يجرؤ أحد أن يصف الانقلاب العسكريّ الذي قام به الأسد الأب عام ١٩٧٠ بوصفه الحقيقيّ، بل كان ملزماً بأن يسميه بـ (الحركة التصحيحيّة المجيدة) لتجميل صورة الطاغية لدى الشعب، وكان هذا الرعب أحد أهمّ عوامل زعزعة السلم الأهليّ لأنّ حرّيّة التعبير تُعتبر من أهمّ مستلزمات هذا السلم.

كما أنّ السلم الوهميّ الذي رسمه الاستبداد الأسديّ كان سبباً في تفكيك المجتمع السوريّ وتشرذمه، لأنّ التضييق على حرّيّة مكوّنات معيّنة من مكوّنات المجتمع السوريّ في التعبير عن هويّتها وخصوصيّتها وتغيّبها عن المشاركة السياسيّة، مقابل منح الحقّ لمكوّنات أخرى بالتحكّم بالجزء الأكبر من مقدّرات البلد ضمن صفقة شراء الولاءات وتجنيد التابعين لخدمة المصالح الضيّقة، كان سبباً في خلق الفجوة الحقيقيّة بين المكوّنات الاجتماعيّة وزرع بذور الفتنة الأهليّة بينها وعاملاً يزيد الاحتقان والحساسيّات والرغبة في الانتقام، إذ لم تكن المكوّنات تتمتّع بمساحات متساوية في التعبير، وكان هامش الحريّة يتّسع أو يضيق حسب درجة الولاء للفكر الاستبداديّ، دون أن ننسى الخطوط الحمراء التي لا يجوز تخطّيها من أيّ مكوّن كان.

وقد لجأ الاستبداد إلى سياسة يمكن أن نسمّيها بسياسة التقمّص، إذ كان يتقمّص شخصيّة مكوّن ما من خلال بعض المرتزقة من أبنائه لبثّ مظاهر الحقد والكراهيّة تجاه مكوّن أو مكوّنات أخرى، ومن خلال زرع الفكرة الفوقيّة والاستعلاء لدى بعض المكوّنات تجاه غيرها، ناهيك عن أنّه قد لجأ - في سبيل ترسيخ ذلك التشرذم - إلى سياسات فاضحة كشفت الوجه الحقيقيّ لهذا النظام، فمثلاً جلب العرب الذين غُمرت أراضيهم بمياه نهر الفرات في السبعينيّات من القرن الماضي إلى المناطق الكرديّة، وتمّ انتزاع أراضي الأكراد التي ورثوها «أباً عن جدّ» منهم، ومنحها للعرب المذكورين دون وجه حقّ ودون أيّ تعويض، للأسف كان ولا يزال جمراً تحت الرماد، وخلق لدى الكرد أحقاداً تجاه المكوّن العربيّ قد لا تُنسى، إلّا إذا تمكّنّا من ترسيخ مفهوم العدالة الانتقاليّة الذي يقتضي اللجوء إلى مجموعة من الإجراءات القضائيّة وغير القضائيّة لمعالجة ما خلّفه الاستبداد من انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان وضرورة كبح النزعات الانتقاميّة وزجّ مؤسّسات المجتمع المدنيّ في عمليّة المعالجة هذه، ولا بدّ من ترسيخ مفهوم العدالة الاجتماعيّة الذي يستلزم أن يحصل كلّ شخص على فرص حياتيّة متوازية مع غيره استناداً إلى الكفاءة والمهارة، وليس إلى المحسوبيّة ودرجة الولاء للحاكم.

فوق هذا وذاك، لا بدّ من وجود إعلام حرّ يتحسّس أمراض المجتمع ويُظهرها للعلن بهدف معالجتها والارتقاء بالمجتمع إلى المستوى المرغوب، إذ كان الإعلام طوال فترة الحكم الاستبداديّ إعلاماً رخيصاً مبتذلاً بعيداً عن هموم الشارع، ومهمّته تجميل قبائح الحاكم لا أكثر.

وبالتالي، فإنّ الثورة السوريّة كانت أمراً لا بدَّ منه، كي تُبيّن حقيقة مفادها: أنّ السلم الذي تبجّح به النظام كثيراً، كان سلماً وهميّاً يُخفي بين طيّاته الفتنة الطائفيّة والعرقيّة والمذهبيّة والقوميّة والمناطقيّة، بل وكانت تلك الفتنة المخفيّة تحت الرماد سبباً لبقاء الحكم الدكتاتوريّ طوال العقود الماضية، لأنّه زرع في ذهن كلّ مكوّن من مكوّنات المجتمع السوريّ، فكرة مفادها: أنّه (الدكتاتور) هو الملاذ الآمن لأبنائه إن تعرّضوا للظلم على يد أيّ مكوّن آخر.

رياض علي

داعش.. بين التمدّد والتقلّص

«دولة الإسلام باقية وتتمدّد» بهذا الإعلان عن قيام المتطرّفين الإسلاميّين في سورية والعراق لتثبيت دولتهم، كان التحوّل الأكبر في الوضع السوريّ، رغم كلّ المتغيّرات التي سبقته، لكن وبصرف النظر عن طبيعة القوى المناهضة لهذه الدولة، محلّيّة وإقليميّة ودوليّة، عبر ضربات التحالف الدوليّ - العربيّ، وعبر جيش النظام والحشد الشيعيّ والبيشمركة الكردستانيّة في العراق، وعبر معظم تشكيلات المعارضة السوريّة، إضافة لقوّات حزب الاتّحاد الديمقراطيّ الكرديّ، فإنّ سيطرة تنظيم تلك الدولة المعروف بـ «داعش» على المنطقة الممتدّة من الموصل حتّى حلب، قد خضع ويخضع للتمدّد حيناً وللتقلّص حيناً آخر، ممّا يدفع للبحث في طبيعة تلك السيطرة وإمكانات بقائها أو زوالها، إضافة للنظر في المسبّبات والنتائج المتعلّقة بهذه الظاهرة ومدى تعلّقها بتغيير مسار الثورة السوريّة، وكلّ ثورات الربيع العربيّ، دون الخوض في الافتراضات الذهنيّة التي رافقتها وترافقها، كحرب إعلاميّة مساندة للحروب التي يخوضها الجميع فوق تلك الأرض المستباحة.

ممّا لا شكَ فيه أنّ القوّة النوعيّة التي مكّنت «الدواعش» من الوصول إلى ما وصلوا إليه، قد جاءت على نحو مفاجئ، يمكن وصفه باللغز المحيّر، وحتّى بالفعل التآمريّ، حين قامت قوّات جيش حكومة المالكيّ المتمركز في الموصل، بالاستسلام لبضعة مئات من «الداعشيّين» وتسليمهم كلّ تلك الترسانة من الأسلحة الثقيلة والذخائر، إضافة للأموال الطائلة المتوفّرة في البنوك، فيما يمكن إرجاع ظهورهم في شمال شرق سورية، بعد انطلاق الثورة بأكثر من عام ونصف، إلى توفّر المناخ المناسب لنشاط الإسلام المتطرّف، نتيجة لعنف النظام وصبغته الطائفيّة، على يد بقايا تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، ذلك التنظيم الذي اعتمد - ومنذ نشوئه - على حملات استقدام الجهاديّين من المجتمعات الإسلاميّة المختلفة، والتي نشطت في سورية بالتنسيق مع أجهزة النظام الأمنيّة، كما في حملة الشيخ محمود قول آغاسي المعروف بأبي القعقاع، في حيّ الصاخور بمدينة حلب، الأمر الذي يشير بشكل أو بآخر إلى اختراقات معيّنة للنظام في صفوف التنظيم، وربّما يفسّر طبيعة المعارك الجارية بينهما، والتي تنشب بين الحين والأخر، دون أن تصل إلى شكل لصراع كامل يستهدف إزالة طرف للآخر حتّى الآن.

من جهة ثانية، فإنّ الهيكليّة الحاليّة للتنظيم، المعتمدة بشكل أساسيّ على الأشخاص المتطرّفين، وأصحاب السوابق الإرهابيّة، القادمين من كلّ أصقاع الأرض، من الشيشان وأوروبا الغربيّة، كما من الخليج العربيّ وشمال أفريقيا، تُبقي الباب مفتوحاً أمام احتمالات اختراق كلّ القوى الدوليّة والإقليميّة، ممّا يدفع للاعتقاد بأنّ ذلك التنظيم - مع ملاحظة كلّ ذلك الغموض في التمويل والدعم - ليس سوى أداة أكثر منه ظاهرة، أداة لا يمكن أن تشكّل ورقة ضغط بيد أيّ من اللاعبين المختلفين، وغير القادرين على التوصّل إلى أيّ حلّ توافقيّ، بين الأمريكان والروس، كما بين الإيرانيّين وبين الأتراك والقطريّين والسعوديّين، أداة كثيراً ما يكون اللجوء إليها في بعض المعارك والوقائع التي يخوضها ذلك التنظيم، لمصلحة أحد اللاعبين ومعاكسة لمصالح اللاعبين الآخرين.

إنّ ما حصل من تمدّد على مساحة واسعة في العراق وسورية، بعد الاستحواذ على كميّات كبيرة ونوعيّات مختلفة من الأسلحة والذخائر، من أسلحة الجيش العراقيّ، وحتّى السوريّ، يشكّل كما هو ظاهر على الأرض، المصادر الأساسيّة لتسليح هذا التنظيم، في حين لا يشير السلاح المتدفّق عبر الأراضي التركيّة إلى الداخل السوريّ، إلّا إلى كونه تسليحاً لتشكيلات المعارضة المسلّحة، الذي يشكّل مصدراً أساسيّاً لها، إلى جانب ما تستطيع السيطرة عليه من قوّات النظام، والذي لا يشكّل انتقال جزء منه إلى تنظيم «داعش» بمختلف الأشكال، أيّ مصدر مهمّ لتسليحهم؛ كذلك فإنّ ما يجري ومنذ عدّة أشهر من توجّهات دوليّة وإقليميّة، أمريكيّة وسعوديّة بشكل خاصّ، للتضييق على الدعم العسكريّ والماليّ المقدّمين لمعظم فصائل المعارضة المسلّحة، بهدف التهيئة لخلق قوّة عسكريّة للمعارضة المعتدلة، يشكّل عاملاً آخر من عوامل غياب اعتماد التنظيم على هذا المصدر. كذلك فإنّ تلك السيطرة الممتدّة من مدينة الموصل إلى مناطق حلب، لم يكن لها أن تتمّ لولا اعتمادها - ولو جزئيّاً - على الحالة الاجتماعيّة المتمثّلة بالشكل العشائريّ السنّيّ المتطلّع للخلاص من الطغيان السلطويّ، لحكومة بغداد ذات النزعة الشيعيّة التسلطيّة، ولنظام الأسد ذو الصبغة العلويّة، الأمر الذي يفسّر التقلّصات اللاحقة لتلك السيطرة في المناطق الكرديّة، بدءاً من سنجار، وصولاً إلى عين العرب (كوباني) وكركوك؛ لكنّ ضربات التحالف الدوليّ الشديدة التركيز، والتي أدّت لوقف التمدّد، كما أشار الرئيس الأمريكيّ، قد خلّفت فقدان التنظيم للعديد من كوادره وعناصره، بل دفعت وتدفع العديد منهم للسعيَ نحو الهروب، حتّى بات الحديث عن قيام التنظيم بإعدام بعض عناصره أمراً شبه يوميّ؛ فيما تشكّل الإجراءات الجديدة بعد اعتداءات باريس الإرهابيّة، على الحدّ من التحاق المزيد من العناصر الجديدة بالتنظيم، بعداً آخر من أبعاد التقلّص الجديد.

إنّ تلك العوامل، إضافة إلى غياب المصدر المستمرّ لتدفّق الأسلحة والذخائر، قد تضع عمليّة التمدّد في الماضي، فيما تبقى عمليّة التقلّص المتواصل والزوال مرهونة، على ما يبدو، بالمتغيّرات السياسيّة حتّى خارج حدود المنطقة، التي تدفع باللاعبين الأساسيّين على الساحة الدوليّة والإقليميّة، إلى الاستغناء عن خدمات ذلك التنظيم وغيره من التنظيمات المشابهة، دون الحاجة إلى القيام بمواجهات مباشرة فيما بينهم، يمكن أن تشكّل عبئاً ثقيلاً عليهم، طالما أنّه يمكن تحميل الأعباء للجانب السوريّ بمفرده ، الذي تحوّل إلى فريسة حقيقيّة لصراع الأقوياء.

لؤي حاج بكري

أزمة الأحزاب السياسيّة في سوريّة

كلنا جاءت بعض الردود على موضوع <<نحو بناء جسور بين القوى السياسيّة في سورية>> الذي طرحناه في العدد السابق من صحيفة «كلّنا سوريّون» طويلة نسبيّاً، ورأينا أن نستكمل نشر الحوار ـ كما وعدناكم ـ مع كلّ الشكر والاحترام.

هيئة التحرير

حسن النيفي/ الحزب الوطنيّ للعدالة والدستور (وعد)

يكتنف مفهوم (الحزب) في الوسط الاجتماعيّ السوريّ المزيد من الضبابيّة والريبة في الفهم، ولعلّ مردّ ذلك إلى انعدام الثقافة الحزبيّة لدى السوريّين طيلة نصف قرن، وذلك نتيجة تصحّر الحياة السياسيّة جرّاء الحكم الاستبداديّ الذي مورس بحقّ السوريّين.

ولم تستطع الأحزاب السياسيّة السوريّة التقليديّة – بحكم واقعها المأزوم – أن تسهم في تجسيد قناعة لدى الناس مغايرة للقناعة المستقرّة في أذهانهم، ذلك أنّ السوريّين لم يحصدوا قطّ ثمرات نشاط حزبيّ ملموس في سوريّة لا قبل الثورة ولا بعد انطلاقتها، ويعود ذلك إلى النهج الذي مارسته الأحزاب في تواصلها مع الناس والتعامل مع قضاياهم، ولا نستغرب الإفلاس الذي مُنيت به الإيديولوجيّات التقليديّة بكلّ أصنافها، وذلك إبّان انفجار ثورات الربيع العربيّ الذي أثبتت كشوفاته الثقافيّة أنّ هواجس المواطن السوريّ وهمومه ومعاناته لم تكن بمنأى عن اهتمام السلطة الحاكمة فحسب، بل بمنأى عن الأحزاب التي كانت تصنّف في صفوف المعارضة أيضاً.

ولم تتمكّن أحزاب المعارضة السوريّة من جعل برامجها وشعاراتها السياسيّة برامج حياتيّة تستمدّ مضمونها من حياة الناس ونشاطهم الاجتماعيّ، بل ظلّت في أغلب الأحيان تدفع ثمن معارضتها للسلطة دون أن تتمكّن من تقديم البدائل الأفضل.

وممّا زاد الأمر تعقيداً وخطورة ظهور التيّارات الراديكاليّة في الإسلام السياسيّ التي ساهمت باستنزاف الثورة السوريّة وانحراف مسارها، وكان من مفرزات هذه التيّارات ظهور المجموعات المسلّحة المتطرّفة التي أعادت إنتاج الاستبداد والقمع وممارسة الظلم بأسوأ تجلّياته.

ثمّة اعتقاد على نطاق واسع بأنّ أزمة الأحزاب السياسيّة في سوريّة إنّما تكمن في ماهيّتها الإيديولوجيّة أو السياسيّة، فضلاً عن قدرتها على التمدّد والانتشار وإقناع الناس بمشروعيّة وجودها، ولكن – فيما أعتقد – أنّ المشكلة الحزبيّة هي من الإشكاليّات المزمنة في الواقع السوريّ، كما أنّ هذه المشكلة تشمل الأحزاب جميعها منذ عهد الاستقلال وحتّى اللحظة الراهنة، وتتجلّى من خلال السمات التالية:

١– الانشغال بالإيديولوجيا، والسعي الحثيث إلى إيجاد مبرّر إيديولوجيّ لوجود الحزب، وذلك بدلاً من الاهتمام بالبرنامج الحزبيّ الذي ينبغي أن يتجسّد على أرض الواقع، وهذا يعني أنّ العقيدة الحزبيّة هي مصدر شرعيّة الحزب وليست الوظيفة الاجتماعيّة التي يقتضيها الواقع الاجتماعيّ لحياة الناس.

٢-الاستغراق الكامل في الشأن السياسيّ للأمّة، والاهتمام البالغ بتصدير الخطابات والبيانات التي تلبّي – في معظم الأحيان – حاجة نفسيّة للأنا المهزومة بالدرجة الأولى، وخاصّة لدى الأحزاب القوميّة، وذلك أكثر من الاهتمام بحاجات الناس الاجتماعيّة والاقتصاديّة وغيرها.

٣-الادّعاء بتمثيل جميع الجماهير، دون الالتفات إلى التباين الاجتماعيّ والفكريّ بين شرائح المجتمع.

٤-عدم قدرة هذه الأحزاب على إعادة إنتاج مضامينها الإيديولوجيّة وذلك وفقاً لتغيّر الظروف والأحوال، الأمر الذي جعل الأفكار الحزبيّة أقرب إلى أيقونات ذات وظيفة تزيينيّة غير قادرة على مقاربة الواقع الاجتماعيّ.

٥-نموّ لوثة الاستبداد في الممارسة السياسيّة بسبب الاعتقاد باحتكار الحقيقة، ونفي أيّ شرعيّة لوجود الآخر.

٦-الضحالة الفكريّة والثقافيّة في معظم المكوّنات الحزبيّة، واعتماد الأحزاب السياسيّة على البرامج الثقافيّة التي تعزّز قناعاتها بسلامة وصحّة ما تعتقده فقط، الأمر الذي يؤدّي إلى تكلّس وتنميط العقل الحزبيّ وجعله لا يرى إلّا من ثقب محدّد.

٧-افتقار معظم الأحزاب إلى رصيد نظريّ فكريّ، حيث لا تحفل أدبيّات الأحزاب على بحوث ودراسات تتجاوز فترة كتابتها، والاكتفاء بالمنتج الصحفيّ الاستهلاكيّ.

ولعلّ هذه العوامل مجتمعة، يضاف إليها ما كانت تمارسه السلطات الاستبداديّة، وخاصّة نظام الأسد على امتداد أربعة عقود من الزمن، قد أدّت كلّها إلى حالة من التصحّر السياسيّ، وانعدام إرث سياسيّ يمكن أن يكون صالحاً للتأسيس عليه.

ولعلّ ما هو مؤلم حقّاً، أنّ الأحزاب المعارضة في سوريّة والتي قدّمت تضحيات هائلة في مواجهتها لنظام الأسد، بل ما قدّمته المعارضة السوريّة من تضحيات – وخاصّة المعارضة الإسلاميّة – (شهداء – معتقلون – مهجّرون) نكاد لا نجد لها مثيلاً في أيّ بلد عربيّ في تلك الفترة الزمنيّة، ولكن على الرغم من كلّ ذلك فإنّ المعارضة السوريّة وأعني (الأحزاب السياسيّة بكلّ توجّهاتها) لم تستطع تجاوز النظام الحاكم أو نظام البعث من حيث آليّات التفكير والمنهج في العمل الذي ينعكس على الممارسات والسلوك انعكاساً مباشراً، ودليل ذلك أنّ كلّ الأحزاب في سوريّة هي عاجزة الآن عن إنتاج مشروع سياسيّ يمثّل مصالح السوريّين، كما هي عاجزة من إحراز حضور فعّال في الثورة السوريّة.

وأيّاً كان الشأن فإنّ إعادة الاعتبار للحياة الحزبيّة في سوريّة، والشروع في تشكيل الأحزاب السياسيّة، هو أمر لا بدّ منه لتدشين حياة سياسيّة في سوريّة المستقبل، إلّا أنّه من جهة أخرى أرى أنّه لابدّ لأيّ مشروع حزبيّ مستقبليّ من أن يكون موسوماً بما يلي:

١ – القدرة على تحويل المضامين الإيديولوجيّة إلى مشاريع تخدم الواقع الاجتماعيّ، وتلبّي حاجات الناس المعيشيّة.

٢ – مرونة الذات الحزبيّة وقابليّتها للعمل والاندماج في التكوينات السياسيّة الكبرى (تيّار – تكتّل – تجمّع).

٣ – القناعة الفعليّة بأن يكون الشعب مصدر السلطة، الأمر الذي يعني القناعة بمفهوم الدولة المدنيّة الديمقراطيّة.

ما يمكن قوله في الأزمة الحزبيّة في سوريّة مهمّ جدّاً، ومن غير الإنصاف اختزاله بمقالة لا تتجاوز (٣٠٠) كلمة، ولكن نأمل أن يكون ذلك حافزاً لدراسات أكثر شموليّة وتفصيلاً.

الأحزاب وإعادة البناء

منصور الأتاسي/ مبادرة الشيوعيّين السوريّين

منذ عقود طويلة عمل الانقلابيّون على حظر ومنع العمل السياسيّ في الوطن العربيّ بشكل عام، وفي بلادنا سورية بشكل خاصّ؛ وهكذا استقرّت الأنظمة السياسيّة منذ سبعينيّات القرن الماضي، واستقرّ شكل من العلاقة بين الغرب وشركاته من جهة، وبين الحكّام العرب من جهة أخرى، فقد سمح الحكّام العرب للشركات الغربيّة بسرقة الثروات العربيّة وخصوصاً النفط والسيطرة على الأسواق النشطة، أيّ أسواق الخليج بصورة خاصّة مقابل السماح للحكّام العرب بنهب الشعب، وشيئاً فشيئاً أصبح الحكّام العرب من أثرياء العالم، مثلاً عندما مات باسل الأسد ابن حافظ، تبيّن أنّ ثروته ١٢ مليار دولار وراتبه لا يتجاوز ٥٠٠ دولار شهريّاً!

في سورية، كما في كلّ البلدان العربيّة اعتُقلت السياسة ودخل عشرات الألوف السجون منذ سبعينيّات القرن الماضي خصوصاً، ورغم أنّ «الإخوان المسلمون» هم من قادوا التحرّكات المسلّحة، إلّا أنّ حافظ الأسد استغلّ الوضع ليزجّ بكافّة المعارضين السياسيّين في السجون. وهكذا فقد انتهى الصراع والاصطفاف على أساس سياسيّ، ولأنّ الإنسان كائن اجتماعيّ أي يعيش ضمن جماعات فقد تقدّمت – وبتشجيع من النظام، وبسبب شكل تركيبة النظام – ذهنيّة الصراع الما قبل سياسيّ، أي صراعات طائفيّة ومذهبيّة ودينيّة وقوميّة وقبائليّة ومناطقيّة، إلخ. هذه الصراعات لن تنتج سوى حروب قاسية جدّاً تفكّك الوطن وتلغي الانتماء الوطنيّ لصالح الانتماء الما قبل وطنيّ، وهذا ما نلاحظه في سورية، لذلك فإنّ مهمّة بناء الديمقراطيّة تتمّ عن طريق تقوية الوحدة الوطنيّة بين سكّان سورية، وهذا يتطلّب إعادة صياغة الصراعات في سورية، أي تحويلها من صراعات قاتلة مدمّرة مجرمة، إلى صراعات سياسيّة تخدم تطوّر بلادنا وتنتقل إلى حالة جديدة هي الصراعات السياسيّة التي تتصارع فيها القوى السياسيّة على برامج تهدف إلى تطوير سورية.

من هنا، نرى أنّ الصراعات والاصطفافات السياسيّة المدنيّة السوريّة هي لصالح سورية الجديدة التي نسعى إليها - كما ذكرت - وهذه مهمّة سياسيّة وتثقيفيّة وتوعويّة تهدف إلى إعادة صياغة الصراعات التي قتلها نظام الأسد بهدف استقرار حكمه ونهبه، أقول ذلك لأستنتج أنّ النظام هو المسؤول أوّلاً عن إضعاف القوى السياسيّة وتمزيقها وتدميرها.

وعندما انفجرت الثورة السورية، فجّرها وأطلقها الشباب بغياب الحركة الوطنيّة الممزّقة، لذلك استقرّت الصراعات التي أنتجها النظام.

وهناك سبب آخر أضعف التحوّل إلى النشاط السياسيّ، أي أضعف الانتقال للنظام السياسيّ الجديد الذي نريده، وهو عامل الضعف الذاتيّ داخل القوى السياسيّة السوريّة، بالإضافة لعقليّة الهيمنة وإلغاء الآخر وقصر النظر السائدة عند بعضها؛ وقد تصوّرت بعض القوى السياسيّة أنّ النظام سيسقط خلال أشهر على أبعد تقدير، لذلك كانت ترتّب أمور استلامها وتفرّدها بالسلطة، و أيضاً هناك قوى لم تستطع أن يقود الحركة الوطنيّة غيرها، أو يشاركها في قيادة الحركة الوطنيّة، ففجّرت التجمّع الوطنيّ الديمقراطيّ في انتخابات عجيبة، ثمّ دفعت الأمور لصراعات منهكة داخل المجلس الوطنيّ، ثمّ دفعت الأمور نحو أشكال من الصراع أكثر خطورة داخل الائتلاف الوطنيّ، ممّا أنهكه و أخرجه من معادلة الصراع.

والغريب، أنّ الأحزاب والتجمّعات التي حافظت على تماسكها وتجمّعها في عهد الأسد، سرعان ما تمزّقت وانقسمت عند انطلاق الثورة، أي عندما كانت سورية بحاجة إليها، منها - على سبيل المثال لا الحصر - حزب الاتّحاد الاشتراكيّ الديمقراطيّ وحزب العمل الشيوعيّ وحزب الشعب الديمقراطيّ؛ رغم أنّ انقسام بعضها كان موضوعيّاً، فقد التزمت أقسام منها بالثورة، بينما رأت أقسام أخرى أنّها ثورة دينيّة سلفيّة، يجب الوقوف مع النظام لضرب الإرهاب والتطرّف، فتحوّل بعض هذه الأحزاب إلى أحزاب مجرمة قاتلة مثل القسم المتعاون مع السلطة بحزب القوميّين السوريّين الاجتماعيّين.

لذلك، نستطيع أن نقول: إنّ الثورة هي فرن صهر هذه الأحزاب، ويعيد إنتاجها بشكل أفضل لتصبح قادرة على تغيير مساراتها ورؤيتها للمجتمع، لتكون جزءاً منه وليست مهيمنة على أحد؛ ورغم أنّ مرحلة إعادة بناء هذه الأحزاب مكلفة سياسيّاً وبشريّاً ووطنيّاً وإنسانيّاً، إلّا أنّها الطريق الذي سارت عليه الأمور.

إنّ المؤشّرات الحاليّة تؤكّد على وجود بداية ظواهر تبشّر بعودة علاقات تعاون حزبيّة على أُسس تعاون ندّيّة، وتهيئ لإعادة اللحمة بين التيّارات الحزبيّة التي تنطلق من فكر واحد، ونرجو ونعمل ألّا تطول هذه المرحلة.

الخروج من الفوضى والعدميّة

هيثم خوري/ حزب الجمهوريّة

لكي نجيب عن آليّات تعاطينا مع الواقع السوريّ، علينا أوّلاً توصيفه. الواقع السوريّ مؤلم جدّاً بسبب الدمار والقتل الناجم عن آلات القتل الهمجيّة. الأمم المتّحدة تصف الأزمة الإنسانيّة السوريّة بأنّها أكبر أزمة إنسانيّة منذ الحرب العالميّة الثانية. المشكلة الأساسيّة هي غياب الحلّ، فلا الحسم العسكريّ ممكن في المدى القصير، في ظلّ معطيات توازن القوى الحاليّ، ولا الحلّ السياسيّ واقعيّاً يبدو قريباً، فالنظام مازال يعيش في أوهام الحلّ العسكريّ، والمعارضة متشرذمة تائهة في خلافاتها الصغيرة.

للأسف، المعارضة اليوم هي جزء من المشكلة وليست جزءاً من الحلّ. كان أمامها في شهر تمّوز ٢٠١٢فرصة جيّدة لتكون جزءاً من الحلّ، ولتضع اللبنات الأولى أمام رسم صورة سورية المستقبل، ولكنّها للأسف فرّطت بها في مؤتمر المعارضة الذي عُقد في ذلك الحين، عُرض عليها تبّني بيان جنيف١، ولكنّ المؤتمرين رفضوا في النهاية، بالرغم من أنّ النظام كان في أضعف حالاته في ذلك الحين، وكان مستعدّاً للتفاوض، ولم يكن قد أسلم أمره كلّيّة لإيران، كلّ هذا أظهر للمجتمع الدوليّ أنّ المعارضة السوريّة غير ناضجة، ولا تدرك الداخليّة والإقليميّة والتوازنات الدوليّة، بالإضافة لهذا، خرج ذلك المؤتمر بوثيقتين، وثيقة «العهد الوطنيّ» ووثيقة «الرؤية السياسيّة لملامح المرحلة الانتقاليّة» ولكن للأسف فرّطت قوى المعارضة بهما، ممّا ساهم في ضياع بوصلة الثورة، وفتح الباب أمام ظهور تنظيمات عسكريّة ذات توجّهات دينيّة، لا تضع الهويّة الوطنيّة السوريّة الجامعة أساساً لمشروعها.

زد على ذلك، أنّ عدم التزام بعض الأطراف بلجنة المتابعة التي انبثقت عن ذلك المؤتمر، وتمييعها عمداً، عمّق حالة الشكّ بين أطراف المعارضة، والأنكى من هذا كلّه أنّ بعض أطراف المعارضة ارتهنت قراراتها وتوجّهاتها لدول عربيّة أو إقليميّة، ممّا أفقد المعارضة استقلاليّة القرار الوطنيّ.

إذاً كيف نخرج من هذه الفوضى والعدميّة؟ للخروج من حالة التوهان هذه لا بدّ من:

١. إعادة بناء الثقة بين أطراف المعارضة، عبر تشجيع الاتصالات واللقاءات الثنائيّة فيما بينها.

٢. إقامة حوار مستمرّ وتدريجيّ بين القوى المعارضة بعيداً عن المحاور الإقليميّة والدوليّة، بهدف بناء رؤية سياسيّة متكاملة لحاضر ومستقبل سورية.

٣. عقد مؤتمر وطنيّ جامع بعد إنضاج جهود إعادة الثقة وبناء الرؤية السياسيّة للخروج بـ:

أ. وثيقة رؤية سياسيّة مرحليّة تتضمّن تصوّراً دقيقاً حول المرحلة الانتقاليّة، ومن بينها ثوابت لأيّ عمليّة تفاوضيّة مع النظام.

ب. ميثاق وطنيّ يرسم صورة لسورية المستقبل، وماهيّة بنية نظام الحكم فيها، يكون أساساً للدستور السوريّ الآتي.

ت. تأليف هيئة مهمّتها التنسيق بين أطراف المعارضة وتدير عملها السياسيّ المشترك.

المهمّة الصعبة

محمّد قنطار/ ائتلاف شباب الثورة في سورية

إنّ ظهور التشكيلات السياسيّة في أيّ مجتمع، هي حالة صحّيّة، وهي تنبثق من حاجة هذا المجتمع للبحث عن آليّات لتطويره بمختلف جوانب حياته الاجتماعيّة والمعيشيّة والفكريّة من خلال طرح رؤى وتصوّرات سياسيّة نابعة من احتياجات ذلك المجتمع وتطلّعاته نحو حياة أكثر نموّاً.

ولكن ما شهدته الثورة من ظهور (تفريخ) للمئات من البُنى الهلاميّة مدنيّاً وسياسيّاً وعسكريّاً، والتي تشهد هشاشة في بنيتها الداخليّة وصراعات مستمرّة فيما بينها، وتحوّلات كبيرة وجذريّة في المواقف والتوجّهات والاصطفاف كان حصيلة لأسباب كثيرة غاية في التعقيد وأهمّها:

- بُعد الشعب السوريّ لأكثر من أربعين عاماً عن ممارسة العمل السياسيّ، أو حتّى العمل المدنيّ في منظّمات المجتمع المدنيّ وحياته في مجتمع ما قبل أهليّ، خاضع لحزب واحد، وحاكم واحد، وقلّة قليلة جدّاً متحكّمة بكلّ مفاصل القرار في البلد.

- الشرخ الاجتماعيّ الهائل الذي خلّفه النظام في سورية بين مختلف أطياف المجتمع، والمتمثّل في حالة عدم ثقة عمياء بين أفراد هذا المجتمع، نتيجة لقبضة أمنيّة واستخباراتيّة تغلغلت في أدقّ تفاصيل حياة المواطن السوريّ، والذي لم يعد قادراً على التفاعل مع محيطه بشكل إيجابيّ وبسهولة، وخصوصاً خلال الثورة السوريّة.

- بالإضافة للموقع «الجيوسياسيّ» الغاية في التعقيد، والتي تتمتّع به سورية، والذي يشكّل محطّ أنظار الدول العظمى، نتيجة لتشابك مصالحها في منطقة الشرق الأوسط عموماً، الأمر الذي يجعل من الصعوبة بمكان، الاستقلال بالقرار السياسيّ لأيّ كيان سياسيّ ناشئ، وخصوصاً في ظلّ ضعف شديد في الإمكانيّات والخبرات السابقة لنشوء هكذا كيانات، بالإضافة لظروف غاية في الصعوبة، من قصف ودمار هائل، وانعدام أبسط سُبل التواصل.

- الصراعات المستمرّة بين هذه الكانتونات، والقائمة على أسس سياسيّة ومصلحيّة ماديّة ومكتسبات ضيّقة أخرى.

هذه العوامل ساهمت وبشكل فعّال في تذرّر قوى الثورة السوريّة بكلّ أشكالها المدنيّة والسياسيّة والعسكريّة، وجعلتها تدور في فضاءات مفرغة خالية من أيّ هدف واضح، أو رؤية سياسيّة وطنيّة جامعة.

كما أنّ ظهور القاعدة والقوى التي تتشارك معها في نفس النهج والتطرّف في سورية، وتعاظم نموّها، أعاق وبشكل فائق تطوّر تلك البُنى السياسيّة، وعطّل أدواتها على الأرض بشكل كبير لدرجة الاستحالة، نتيجة لتمترسها خلف خطاب دينيّ متزمّت ومقيت ومتخلّف، لا يمتّ للإسلام أو لأيّ دين آخر بأيّة صلة مطلقاً، ولجوئها للاختطاف أو الاغتيال لعدد كبير من قادة الثورة ورموزها ونشطائها وعلى نطاق واسع، ما دفع بقسم كبير من هؤلاء إلى طلب الهجرة في مختلف دول اللجوء، الأمر الذي أدّى لتفريغ الساحة السوريّة بصورة كبيرة من تلك الشخصيّات، والتي كان من الممكن أن تطرح رؤى ومشاريع وطنيّة يمكن البناء عليها وتطويرها لترقى لأهداف الثورة السوريّة وتطلّعاتها.

هذه العوامل مجتمعة هيّأت المناخ الملائم لتنامي قوى الظلام وأمراء الحرب، الذين ليس لديهم أيّة خلفيّة ثقافيّة أو دينيّة أو أخلاقيّة.

ولذلك، فإنّ عمليّة تجميع القوى الوطنيّة المؤمنة بأهداف الثورة السوريّة في الحرّيّة والكرامة والعيش المشترك، أصبح مهمّة صعبة للغاية، وهو بحاجة لإرادة حقيقيّة وخصوصاً من القوى السياسيّة والمدنيّة والعسكريّة الكبرى التي أفرزتها الثورة السوريّة، ويبدأ بمدّ جسور التواصل بشكل فعّال ومكثّف بين تلك القوى من خلال طرح مشروع وطنيّ جامع، يبتعد عن الدخول في حالة الانتماءات المذهبيّة الضيّقة، ويلامس واقع وهموم الشعب السوريّ وتطلّعاته بالخلاص من النظام، ومن كلّ قوى الظلام التي تحاول استعباده، وخصوصاً بعد الانهيار شبه الكامل للبُنى التحتيّة للدولة وعلى رأسها الجيش، وبعد سيطرة أمراء الحرب والعصابات بمختلف توجّهاتهم الدينيّة والفكريّة على مساحات واسعة على الأرض، وامتلاكهم لقوّة عسكريّة لا يُستهان بها، وبظلّ وجود ذلك الخطاب الدينيّ الذي يسعى لإعادة سورية عشرات السنين إلى الخلف، خدمة لمصالح دوليّة وإقليميّة.

المنظّمات الإغاثيّة السوريّة
بين الواقع وسُبُل المأسسة ٢/١

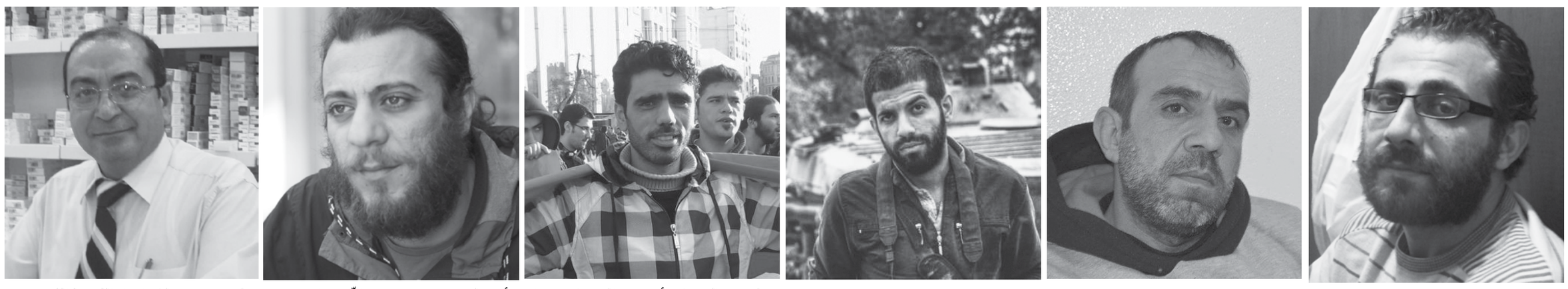

صحيفة «كلّنا سوريّون» وضمن خطّتها بطرح قضايا الشأن العامّ التي تهمّ الشعب السوريّ، عقدت بتاريخ ٢٧ كانون الثاني، طاولة مستديرة، ناقشت فيه موضوع «واقع العمل الإغاثيّ في سورية».

اعتمدت هيئة التحرير على نقطتين أساسيّتين لتطرح سؤالها:

محور١: تظهر فجأة بعض المنظّمات الإغاثيّة وتبدأ بحملات دعائيّة، تجمع من خلالها مواداً وأموالاً في ظرف معيّن (العاصفة الثلجيّة)، ثمّ تختفي المنظّمة بما أخذت كما ظهرت.

محور٢: تستخدم بعض القوى السياسيّة الإغاثة لأغراض انتخابيّة، أو شراء ولاءات أو غير ذلك، وتستغلّ المحتاجين لصالح أجنداتها الخاصّة.

السؤال: ما هي الأليّات التي يمكن من خلالها ضبط العمل الإغاثيّ ومنع الاحتيال أو الاستغلال؟؟

الصحيفة تشكر جميع المنظّمات والأفراد الذين تجاوبوا مع الدعوة، وحضروا لمناقشة الموضوع والبحث في تفاصيله، بقلوب مفتوحة ونيّة صادقة بالحوار الجادّ والفعّال، ولأهمّيّة الموضوع المطروح والنقاشات التي دارت حوله ننشر في هذا العدد القسم الأوّل منه، على أن نستكمل نشر الموضوع في العدد القادم؛ وتذكّر هيئة التحرير بأنّ صفحات الصحيفة مفتوحة لكلّ من يريد أن يستكمل النقاش في هذه القضيّة الهامّة أو غيرها.

هيئة التحرير

منظّمة مرام – يقظان الشيشكلي:

رغم أهمّيّة الورقة المقدّمة، أرجو أن تتقبّلوا انتقاداً أوّلياً حول صياغة السؤال، فنحن لم نسمع بمنظّمات اختفت، وبرأيي الطرح هنا غير عادل، لأنّه مسيء نوعاً ما، ولذلك يجب أن نكون واثقين بالجماعات التي يتمّ التبرّع لها، لذا أتمنّى تغيير صيغة السؤال بحيث تنتفي منها صيغة الاتّهام.

عبدالله حكواتي قاطعه باقتراح بالورقة: لأنّ من يظهر ويختفي هي الحملات وليست المنظّمات.

الاتّحاد السوريّ العامّ - محمّد عيدو:

أتّفق مع طرح الأستاذ يقظان، ويوجد نوع من عدم العدل، أمّا التساؤل فهو الأهمّ، وخاصّة بشقّه الأوّل، ما هي الآليّات التي يمكن من خلالها ضبط العمل الإغاثيّ، وأنا أتّفق معها مائة بالمائة، وأقف عند هذه النقطة لأنّها أهمّ من منع الاحتيال والاستغلال، وبها حلّ للمشاكل ومن ضمنها الازدواجيّة، وهناك مخيّمات أو مناطق تصل إليها الإغاثة بشكل كبير ومناطق أخرى لا تأخذ شيء، وقد يكون ذلك له علاقة بالحالة السياسيّة والولاءات، وأنّ ضبط العمل الإغاثيّ وتطويره هو الأهمّ. طبعاً، يوجد هناك آليّات للعمل ولكن نحن لا نأخذ بها. وأعيد لأشدّد على ما قاله السيّد يقظان، وأنا لا أعرف أمثلة عن منظّمات ظهرت واختفت في الفترة الزمنيّة للعاصفة الثلجيّة رغم أنّنا نبحث عن الحالات الصفراء، ولدينا كاتّحاد، أو كلّنا يعرف عن الحالة التحزّبيّة وخاصّة في مدينة حلب، أمّا الجنوب فلا علم لي بذلك، ورغم علمنا أيضاً بها، نحن كاتّحاد لا يمكننا التكلّم بها ونحبّ تجاوزها، ولذلك أنا أؤكّد على التساؤل عن تطوير آليّات العمل الإغاثيّ، أمّا عبارة «لمنع النصب والاحتيال» فنحن بالإغاثة نقلّل من كلمة فساد ونتبنّى كلمة هدر، لأنّنا كجمعيّة أو منظّمة أو..، لا نقول إنّ الجميع فاسدون، أي نحن فقط، جيّدون رغم أنّ كلّ الجمعيّات تقول ذلك، وبما أنّنا نعمل بالإغاثة، محكوم علينا مسبقاً أنّنا نعمل بالأصفر.

وائل أبو كويت - ناشط مجتمع مدنيّ مستقلّ:

أريد أن أوضّح نقطة مهمّة، إنّ عبارة ظهور بعض المنظّمات واختفائها هي عبارة خاطئة، وليس لها علاقة بموضوع العاصفة الثلجيّة، ويجب أن نفرّق بين عمل المنظّمات وعمل الحملات التي يقوم بها الناشطون في حالات العواصف والكوارث، وهذه الحملات أغلب الداعين لها هم ناشطون مستقلّون، وأنا أسمّيها شخصيّاً «حملات إرضاء الضمير» وهنا تصبح الإشكاليّات لأنّنا لا نعلم أين تذهب، وما هي آليّة التوزيع؟ وهذا الأمر يختلف كليّاً عن عمل المنظّمات، فالمنظّمة تقوم بحملات دوريّة ليس فقط في حالة الأزمات، ولكن في حالة العاصفة الثلجيّة فهي تأخذ صدى أكبر بسبب تعاطف الناس معها.

أمّا موضوع اختفاء المنظّمة فجأة، فهذا خطأ لأنّ من يختفي هي الحملات، لأنّ من يقوم بها بحالة عشوائيّة فوضويّة لإرضاء الضمير ولا نعلم آليّات العمل بها، والمنظّمة لا تختفي إلّا لأسباب معيّنة، فإنْ أعدنا ترتيب ظهور المنظّمات، فهي بالأساس كانت عبارة عن أفراد في الداخل قاموا بتوزيع «ربطة خبز» أعجبهم الأمر، ثمّ كبرت هذه الظاهرة وأصبحت جمعيّة، ثمّ ذهبت هذه «الموضة» وحلّت مكانها «موضة» المنظّمات، ولم تستطع العمل في المجال المؤسّساتيّ فتوقّف الدعم عنها فانهارت، وهناك فرق بين الانهيار والاختفاء، ونحن الآن وصلنا إلى مرحلة، أنّ الجهات الداعمة بشكل عامّ، والمتبرعين، لم تعد تعطي لأيّة جهة إلّا إن كان لديها حساب بنكيّ وهيكليّة ونظام داخليّ ليتمّ التبرّع لها، وأيضاً السمعة الجيّدة. والجمعيّات السابقة انهارت، أي لا يوجد هنا سرقة، بل، هي عبارة عن سوء تنسيق وحالة فوضويّة، وفي الفترة الأخيرة قامت حملة هنا في غازي عنتاب من قبل مجموعة من الشباب، وهي حملة كبيرة ورغم ذلك لا نعلم أين ذهبت المواد، فهم وزّعوا وصوّروا وانتهى الأمر هذا هو الفرق، وأقول هناك أخطاء من المنظّمات ولكن ليست بموضوع السرقة والاختفاء.

عبد الرحمن كحيل - مجلس محافظة حلب:

بالنسبة للمنظّمات في الوضع الراهن يختلف عمّا كان في السابق، فكانت أيّة جهة أو أيّ شخص يضع إعلان على موقع التواصل الاجتماعيّ «فيسبوك» ويعلن أنّه منظّمة، نجد أنّ الناس تبدأ بالتعامل معه، أمّا في الوقت الراهن فأصبح الأمر يحتاج إلى هيكليّة وأصبحت المنظّمات الدوليّة تتعامل مع هذه المنظّمات، وأصبح من الصعب ظهور منظّمات واختفاؤها، لذلك أتّفق مع ما قاله البعض: بأنّ هذه الحالات تحتاج إلى مثال عنها، وما هي الأمثلة التي تمّت في ظلّ الأزمة الثلجيّة. **(أوضحَ منسق الجلسة أنّ عبارة العاصفة الثلجيّة هي مثال لا يُقصد بذاته، بل هي تعبّر عن الأزمات)** تابع **«كحيل»** إنّ أغلبيّة الأعمال التي تظهر هي حملات وليست منظّمات وحسب علمي لا أذكر منظّمات ظهرت واختفت، والتي ظهرت واختفت. أشخاص انتقلوا إلى منظّمات أخرى.

«ربيع السبكي» أحد الناشطين الفوضويّين الذين شاركوا في الحملة الأخيرة:

الحملة التي عملنا بها نتيجة الأخبار التي وردتنا من المخيّمات والأستاذ وائل أبو كويت كان في نفس المجموعة التي أرسلت لنا النداءات، والحملة ليس لها اسم وهذا هو سبب نجاحها، وإضافة لذلك أيضاً كان بها شفافيّة كاملة فكلّ شخص دفع مبلغ ولو كان بسيطاً كان يذكر اسمه كي لا يقول أحدهم: أين ذهبت المبالغ؟ واتُّهمنا أنّنا نقوم بالدعاية لمن تبرّعوا. نحن خرجنا نخوة كما قال البعض، ولكن منذ ثلاث سنوات ونحن نتكلّم عن المخيّمات من أجل فرش الأرضيّة، إلى الآن لم يسأل أحد عن هذا الأمر، وقد ذهبنا إلى الحكومة أكثر من مرّتين لطرح موضوع المخيّمات، ولم يتمّ أيّ ردّ أو تفاعل، لماذا الآن؟ من أجل الدعاية والظهور؟ يجب الاهتمام بالمخيّمات التي ليست عبارة عن توزيع سلّة إغاثيّة لقد علّمناهم الكسل، وهناك أكثر من ثلاثة آلاف رجل فاغر الفمّ ينتظرون الإغاثة، فالطّين في تلك المخيّمات يصل إلى الساق، لماذا هذا التقصير؟ وهناك منظّمات لا عمل لها إلّا التصوير مع الأطفال من أجل إظهار منتجها الموزّع، أو من أجل جلب الدعم. نحن كناشطين طُلب منّا التوثيق وأعطينا التوثيق للجهة التي طلبته، ولكن ليس للنشر، فقط للتوثيق.

فؤاد حلّاق - ناشط مدنيّ، مشارك في الحملة:

كما ذكر ربيع، تمّ توثيق الحملة، ولكن فقط للمانح وبالنسبة لنا كناشطين نحن ضدّ توزيع الأموال والسّلل فقط من أجل الدعاية والتشهير بالناس عبر الصور. والحملة التي قمنا بها غطّت ما يقارب٧٠٪ من مدينة حلب (بالنسبة لأدوات التدفئة) وهذا الأمر لم يقم به لا مجلس مدينة أو محافظة ولا منظّمة ولا حتّى الحكومة، وهي كحركة اتّهمت بالفوضويّة، رغم أنّها نسّقت مع المجالس المحلّيّة في المناطق المنسيّة مثل الميسر والجزماتي، وعندما وصلنا إلى هناك فوجئنا بحجم الكارثة، وهم أيضاً تفاجؤوا بنا، لأنّ هذه المناطق لا تصل إليها موادّ إغاثيّة من أيّ منظّمات أو مجلس المدينة أو المحافظة. وما قمنا به لم تقم به المنظّمات التي تصل فقط إلى المعابر الحدوديّة والمخيّمات القريبة للقيام بالتصوير الفوتوغرافيّ والنشر عبر صفحاتهم، وما أعرفه عن المنظّمات هو أن تتواصل مع المجالس وكذلك الحكومة من أجل قيام مشاريع تنمويّة وليس سلّة إغاثيّة. نحن كنشطاء استطعنا أن نؤمّن لهم «مدفأة وثياب شتويّة» وكذلك سلل غذائيّة في بعض المناطق، أمّا المنظّمات يجب أن تعمل للمستقبل.

وأؤكد أنّ الحملة توجّهت إلى المخيّمات، وعند التوزيع كان هناك أشخاص من المخيّم، فإن ضحكت لهم المرأة فيعطيها ثلاث أغطية أو ما يزيد عن حاجتها، وإن لم تفعل ذلك فحصّتها غطاء واحد، يجب أن نتكلّم عن هذه الأمور، هناك عصابات، يقرّرون التوزيع من عدمه. وعندما سألتهم لماذا لا تعملون؟ رغم وجود ما يقارب ثلاثة آلاف رجل، لا أطالبهم بالعمل في الثورة، بل العمل في المدن التركيّة، كان جوابهم: نحن نجاهد مع نسائنا. علّق **«ربيع»:** لقد دفعنا رشاوَى من أجل إدخال الموادّ التي تمّ تأمينها إلى الداخل وإلى المخيّمات، وهناك جمعيّات حاولت أن تفرض علينا وضع اسمها مقابل إدخال المساعدات عبر الحدود. وأكّد **فؤاد** بأنّ شرط مساعدتنا هو وضع اسم الجمعيّة «يريدون الظهور على أكتافنا» قاطع الأستاذ **وائل** بقوله: اقترحتُ على الأصدقاء المساعدة، وموضوع المخيّمات نقاش طويل، وهناك قصص يشيب لها الرأس، أمّا موضوع إدخال المساعدات عبر المعبر لا يمكن أن يتمّ إلّا عبر الهلال التركيّ أو منظّمة معترف بها في تركيّا ومسجّلة، ولكن التوزيع سيكون باسمك ولا علاقة للمنظّمة بذلك.

مأمون عثمان - منظّمة مسرّات:

بما يخصّ المحور الأوّل يحقّ للجميع النشاط باسم النخوة والغيرة على الوطن، وبدل أن أطرح موضوع حملة خرجتْ، أو منظّمة انتهتْ، أبحث عن حرصهم على أبناء البلد، وأتمنّى أن تكبر وأن ترتّب بطريقة منظّمة أو تنضمّ لإحدى المنظّمات، ونحن كمنظّمة تعبنا مع المانحين، فهم لا يتعاملون مع الأمور بشكل فوريّ إلّا عند الأزمة، وحاولنا قبل الشتاء تأمين الاحتياجات، ولكنّ المانحين لم يتجاوبوا، وهذا ليس تقصير من المنظّمات بقدر ما هو تقصير من المانحين، وأريد أن أتكلّم بموضوع التوثيق والصور، أنا مع ألّا يصوّر أحد وينشر، ونحن كمؤسّسة نعمل منذ سنتين ونصف في الداخل، وحاليّاً في الريف، أي بدأنا بتوسيع عملنا، ونرى أنّه لا أخلاقيّاً ولا دينيّاً إن أراد أحدهم التبرّع بمبلغ مادّي، أن يصوّر الطرف المستفيد لأنّ به امتهان ورياء، ولكن عندما ترى أنّ من يعمل بصمت من المنظّمات لا يصلهم شيء، فواجب علينا إظهار الصور، **(قاطعه نبيه:** التصوير وليس الإذلال) وافقه الأستاذ مأمون بأنّ الصور للتوثيق وليس لأمر آخر، ونحن لا ننشر هكذا صور على صفحتنا.

أمّا المشاريع التنمويّة، نحن ندعم حاليّاً هذه المشاريع مع عدّة منظّمات أخرى.

د. نمير الناصر - اتّحاد الديمقراطيّين مكتب سياسيّ: (موظّف في الحكومة المؤقّتة سابقاً) أتّفق مع ما قاله البعض، إنّ الحملات نوع من النخوة، وأنا ساهمتُ مع أصدقاء من الخارج بحملة في الشتاء الماضي، ولم نصوّر ولم نقم بحملة دعائيّة، ونعمل على حملة في الأيّام القادمة مع الجاليات السوريّة في الخارج باسم الحكومة. وأتّفق مع الأستاذ فؤاد بوجود «مافيات» فأنا قطنتُ بإحدى المخيّمات لمدّة سنة ونصف، كنت مدير نقطة طبّيّة لم يكن هناك تنظيم إداريّ، فقد علّمناهم الكسل، ولم نساهم بمشروع بسيط كالألبان الذي لا يحتاج للمعدّات، ونحن رغم أنّ بعض المنظّمات تعمل، إلّا أنّنا لا نرى أبعد من أنفنا، ففي الصيف نتذكّر ما نحتاجه بالصيف، والشتاء كذلك، لذلك يجب التجهيز قبل وقوع الحوادث. ونحن كحكومة، كانت لدينا مستودعات صغيرة، وكنّا نساهم، ولكن هناك فصائل سياسيّة وعسكريّة في الداخل لا تستطيع السمع باسم الحكومة، فالتهمة جاهزة «مرتدّ» أتكلّم باسمي الشخصيّ، لذلك أدعو للتجهيز المسبق لكلّ المواد التي نحتاجها، رغم مرور أربع سنوات ومع ذلك لم نتعلّم ونقع بنفس الأزمة. وبالنسبة لموضوع فرش المخيّمات، قُدّم المشروع لوزارة المواصلات وقامت بفرش عدّة مخيّمات، ولكن هناك مخيّمات مثل مخّيم «أطمة» الذي لا يمكن التعامل معه بسبب موقعه الجيولوجيّ.

رند شخّيط - منظّمة بسمة وزيتونة:

أرى أنّ الحملات الشبابيّة تبخس دور المنظّمات، والمنظّمات عندما تقوم بحملة فالمتبرّع والأفراد يعرفون إلى أين اتّجهت أموالهم نتيجة الثقة والعمل المستمرّ، وأنتم عندما قامت حملتكم، كان هناك أشخاص موثوق بهم، لذلك ساهمنا وساهمت الناس بالتبرّع، لا يوجد عمل دون ثقة، لا يمكن ظهور واختفاء عمل من لا شيء، ربّما حدث في البداية، ولكن بعد أربع سنوات لا أتوقّع أنّ هذا الأمر قد يحدث. وأنّ الحاجة والأزمة هي أكبر من أن يغطّيها ناشطون لك، إن لم تساهم المنظّمات مع جهود الأفراد فلن يستطيع الناشطون الاستمرار ردّاً على فؤاد ويجب أن يكون للمنظّمات شقّ إغاثيّ وآخر تنمويّ كي يتكامل العمل.

عبدالله حكواتي – إعلاميّ:

إنّ الحملات ضروريّة بسبب النداءات التي خرجت من المخيّمات وجعلت الكثير من الشباب يساهم بإزاحة عبء كبير، ولكن هناك نداءات كاذبة تخرج من المخيّمات، كالنداء الأخير عن الإضراب وغيره، فقط للضغط على الحكومة والائتلاف. وأنا أتّفق أنّ هناك مخيّمات وضعها سيّء ولا تستطيع منظّمة أن تقوم بهذا العمل، وبرأيي لا توجد منظّمات نشأت واختفت إلّا إنْ كان الأمر حالة نصب، ولكنّ الحملات تظهر وتختفي.

نبيه مستريح - ناشط مجتمع مدنيّ:

آخر مشروع ساهمتُ به، هو مع منظّمة «بسمة وزيتونة» ورغم ذلك أشبّه هذه المرحلة بالمراحل الأولى من الثورة، وكان هذا الأمر في تلك الفترة ضروريّ لعدم وجود خبرة أو هيكليّة، ثمّ تأسّست وحدة تنسيق الدعم وهي سبب البلاء، وبدأت تطلب من الأفراد المحتاجين للدعم بالقيام بتشكيل منظّمات عن طريق صفحة «فيسبوك» مع بعض الصور، هكذا بدأ الأمر. وهناك منظّمات استمرّت بالعمل إلى الآن وأخرى اختفت، وإنّ من يتحمّل هذه المسؤوليّة هي وحدة التنسيق والدعم. وأيضاً الحالة السياسيّة أي الائتلاف - أيضاً فشل - ممّا حفّز الناشطين لتحمّل مسؤوليّاتهم، أمّا موضوع المانحين أو عمل المنظّمة فيبدأ باستبيان ينتهي بعد شهر بالحدّ الطبيعيّ، لتعرف ما هي احتياجاتك، وبعدها ترسل إلى الممّول وإلى أن يتمّ الموافقة عليها قد يستغرق الأمر أكثر من شهرين ليتمّ العمل بالمشروع، وإنّ المنظّمات تحاول أن تحصر عملها فقط في المناطق الآمنة، لأنّ الممّول والمنظّمة لا تريد إلّا الاستمرار عن طريق عمل آمن موثّق، ورغم ذلك قد يغيّر الممّول رأيه بحجج انتهاء السنة الماليّة.

وائل أبو كويت: أعترض على كلمة احتيال واستغلال. وأنا عندما طرحت موضوع الفوضى بالحملات، لم أقصد الفوضى التنظيميّة، بل الفوضى بالطلب، أي بعد مقتل ٦ أطفال، بعدها قمنا بالحملة وتمّ التعاطف معها بدون أيّ تنسيق أو تنظيم للحالات قبل أن تقع الأزمة، ويجب أن نفرّق بين المنظّمة والحملة، وقاطعه «هناك منظّمات انتهت لأنّها غير منتظمة ولا يوجد لها هيكليّة». أكمل أبو كويت قوله: بأنّ المنظّمات تنتهي في حالات هي: عدم التنظيم وعدم القدرة على ترتيب أعمالهم، وعدم استمرار الدعم، لأنّ بعض المنظّمات كان دعمها ذاتيّ، لذلك يجب أن نفرّق بين الفوضى والتنظيم، وبين الحملة والمنظّمة، أمّا موضوع الاحتيال لا يمكن أن يكون، ومن حقّ كلّ منظّمة مصاريف

التتمّة ص ٥

حوار العدد مع المعارض السوريّ عُقاب يحيى

كلنا عُقاب يحيى، معارض سوريّ، عضو الهيئة السياسيّة للائتلاف الوطنيّ السوريّ لقوى الثورة والمعارضة.

في سعيها لفتح فضاءات الحوار السوريّ، التقت صحيفة «كلّنا سوريّون» مع المعارض السوريّ عُقاب يحيى، وكان الحوار التالي:

- **الإرهاب يفتك بالشعب السوريّ، عبر النظام ومعه تنظيمات أخرى مثل «داعش»، الأطراف الإقليميّة والدوليّة تدّعي محاربة الإرهاب، كيف تقيّمون الواقع السوريّ اليوم؟ وما هو دوركم في مواجهة الإرهاب فعليّاً؟**

عُقاب يحيى: الإرهاب نتاج مجموعة عوامل موضوعيّة، وأخرى بفعل ذاتيّ يقترب من الاختراق والتصنيع. عقود فوات وفشل، وخيانة المشروع النهضويّ من قبل حملته، ومدّعي رفع رايته، وتحوّلهم إلى نظم نهبيّة، وفئويّة، واستبداديّة من طراز خاصّ، وسياسة التهميش والتغييب، واغتيال الحرّيّات الفرديّة والجماعيّة، وإقامة ممالك للرعب والنهب والرهاب متعدّد الوجوه، ترك فراغاً كبيراً في الفئات الشعبيّة، محمّلاً باليأس وردّات الفعل، فعمل كثير على ملئه فيما يعرف بـ «الصحوة الإسلاميّة» التي يمكن تناول حيثيّاتها السلبيّة والإيجابيّة، فتقوية ردود الفعل العنيفة تجاه الظلم والفقر والتهميش واغتصاب البشر والحقوق، بما يخلق بيئات مناسبة للتطرّف: بيت توليد الإرهاب. وكانت أمريكا، وغيرها من الدول الغربيّة على الخطّ لاستثمار ذلك وتوظيفه في حربها الاستراتيجيّة ضدّ الاتّحاد السوفيتيّ من خاصرة، وخطيئة التدخّل في أفغانستان، ومشاركة أنظمة عربيّة مختلفة في دعم تلك الظاهرة ومدّها بكلّ وسائل التقوية والتحشيد، حتّى إذا ما انقلبت عليهم، والأسباب متراكبة. وحتّى إذا ما انتهت الحرب الباردة بسقوط الاتّحاد السوفيتيّ وبقيّة الدول التابعة له، جرى تصنيع، وتضخيم، وتصدير يافطة جديدة، كالبعبع ليكون جسراً، ودريئة، وواجهة لتحقيق مجموعة أهداف يطول الحديث فيها.

لقد دعّموا الإرهاب بشكل مباشر، أو عبر الاختراق والتصنيع، وحين نجيء عليه في بلدنا العزيز، والذي يعتبر ظاهرة شاذّة، ومفاجئة، فقد بات واضحاً الدور الخبيث، والمرتّب من قبل مجموعة أطراف يقع النظام السوريّ في مقدّمها، ونظام العراق وإيران لتحقيق مجموعة أهداف، وسَوق الثورة نحو التشويه، والحرف، في حين أسهمت الأفعال الطائفيّة الفاقعة، خاصّة بعد الدخول العلنيّ لحزب الله وغيره من المليشيات الطائفيّة، وما يشبه احتلال إيران لبلدنا بمشروعها المذهبيّ ـ القوميّ في عمليّات التصعيد والتوتير وتقوية الحاضنة الشعبيّة للتطرّف والتشدّد، دون نسيان أنّ النظام بكلّ فعله المنظّم هو الإرهابيّ الأوّل، والأخطر، وهو الذي قاد ويقود فعل الإبادة الجماعيّة والتدمير المعمّم، وحتّى التطهير المذهبيّ.

لا يمكن مقاومة الإرهاب دون علاج مقوّماته وأسبابه، ودون التوازن في تناوله، وأقصد بذلك أن توجّه الحرب ضدّ جميع أطرافه، وألّا يقتصر الأمر ويحصر بـ «داعش» وأبناء عمومتها، ذلك أنّ اقتصار «الحرب الدوليّة» على الإرهاب بتلك الطريقة العرجاء، الانتقائيّة وسّع الحاضنة الشعبيّة لـ «داعش» والتفّ حولها قطاع هامّ ومتزايد من «السنّة العرب» في حين أنّ ترك النظام دون عقاب ومحاسبة، يترك أبلغ الأثر الضارّ على الثورة، ومصير تلك الظاهرة. نحن ضدّ الإرهاب بالقطع، ولا نحتاج إثبات ذلك كلّ يوم، لأنّه باختصار يتناقض وألف باءات الحرّيّة التي نؤمن بها، لكنّنا نرى أنّ النظام أسّ الإرهاب ومن أهمّ صنّاعه، ولا بدّ من توجيه الحرب ضدّه، وضدّ بقيّة الأطراف بوقت واحد.

- **مبادرة «دي ميستورا» ثمّ «لقاء القاهرة» الأخير، وبعده «ندوة موسكو» وما هي نواتج هكذا تحرّكات؟ وإلى متى يمكن أن ننتظر والمعارضة منفعلة ــ وليست فاعلة ــ بكلّ أشكالها؟**

عُقاب يحيى: تكثر المبادرات والحكايا عن نوايا لحلول سياسيّة، لكنّي أؤمن بأنّه في غياب القرار الأمريكيّ الفاعل، ومعه بقيّة هيئات المجتمع الدوليّ فليس هناك ما يمكن اعتباره حلّاً سياسيّاً، بقدر ما هو محاولات لملء فراغ، أو ربّما التحضير للإمساك بأوراق ما يجري المقايضة فيها مع الأمريكان.

الولايات المتّحدة منشغلة بملفّات أخرى: محاربة الإرهاب وملفّ إيران النوويّ؛ وقد وضعت الملفّ السوريّ جانباً، بكلّ ما يتركه ذلك من أثر على المسألة السوريّة. إن كان لجهة الحسم العسكريّ الذي لم يعد يلوح في الأفق القريب، أو بفرْض حلّ سياسيّ يلبّي الحدّ الأدنى من مطالب الشعب السوريّ.

لقد أعلنتْ جلّ القوى المعارضة قبولها بالحلّ السياسيّ، واعتماد بيان جنيف وبنوده الستّة مرجعيّة، وظهر جليّاً أنّ النظام هو من أفشله ورفسه دون أن يقابل ذلك موقف قويّ من الدول الراعية، ثمّ بدأت عديد التحرّكات التراجعيّة، والاستبداليّة، وعديدها يريد أن يضع يافطة ميزان القوى ممرّاً للنزول بسقف المطالب السوريّة إلى مستوى مفتوح على مسلسل لا يدري أحد نهاياته، ومآله. «دي ميستورا» يريد إيجاد حالة تجميد متقطّعة، ولم يربط أطروحاته بجنيف١ و٢ أو بحلّ شامل، والروس يفعلون ما هو قريب من ذلك تحت عنوان: الحوار المباشر مع النظام، وترك أمر مصير رأس النظام وكبار رموزه من القتلة لقادم الحوارات، أو لصيغ يسرّبونها عن ترك الأمر للشعب في انتخابات قادمة؛ بينما يدخل النظام المصريّ على الخطّ بإرباك وغموض، وبين هدف توحيد عمل المعارضة، الذي هو هدف حيويّ للجميع، ويجب العمل لأجله، وبين تشكيل محاور ما، أو الإبعاد للبعض، تجيء اللقاءات بما يتجاوز المأمول والمقرّر منها، مع الأمل أن يكون جهد توحيد عمل المعارضة مخلصاً وبعيداً عن العقل الكيديّ، الاستئثاريّ، أو الخضوع لهذا المحور أو ذاك.

- **في المناطق المحرّرة لا يعرف أغلب السوريّين الائتلاف أو الحكومة المؤقّتة، أو ربّما لا يأبهون للأمر، كيف تنظرون إلى هذه العلاقة؟ وما هو مبرّر وجود الائتلاف، خاصّة وأنّه (ما بيطلع بايدو شي)؟**

عُقاب يحيى: قصّة الائتلاف طويلة، لكنّها لا تنفصل عن عاملين متراكبين: العامل الذاتيّ الذي يخصّ حال المعارضة وأزمتها «التاريخيّة» وضعفها، وأبواب دخولها إلى الثورة في ظلّ غياب قيادة من صُلبها، وبين مجموع التداخلات والأوضاع الإقليميّة والخارجيّة وفعلها ـ السلبيّ ـ في النتيجة.

لقد كتبنا مراراً في أزمة المعارضة، وفعل عقود التصحّر، والملاحقة، والحروب فيها، وأنّ الثورة لم تكن من نتاجها، وبعضها كان بعيداً وراح يتراكض للحاق والركوب، ثمّ جاء المجلس الوطنيّ محاولة لسدّ فراغ، في ظروف غير طبيعيّة أيضاً، فعانى إشكالات مختلفة، وولّد الائتلاف بهدف أن يكون البديل المستفيد من التجربة والأخطاء، لكنّه وقع بذات الأمراض، وبرز ثقل التدخّلات الخارجيّة أقوى ـ نتيجة المتغيّرات والتطوّرات ـ حيث حُقن الائتلاف عند التأسيس بأكوام من الوعود الداعمة، ثم تنصّل منها الجميع تقريباً، وراحوا يتملّصون بذرائع مختلفة. وبالوقت نفسه طغت في تلك المرحلة ظاهرة التسليح والعَسكرة، مفسحة في المجال لتدخّل عديد القوى الإقليميّة التي راحت تخترق وضع الفوضى والتشتّت لإقامة حالات تابعة إليها، وبما جعل من شبه المستحيل توحيدها، أو إخضاعها لقيادة سياسيّة واحدة، وكان ذلك الأساس الأوّل لترنّح الائتلاف، وخلخلته داخليّاً وبروز عديد الصراعات فيه، ثمّ بروز المال السياسيّ والمحاور لدى البعض وتوظيفهما خدمة لأغراض تخصّهم، وإقحام الائتلاف للدخول في مغطس يبدو شديد الذاتيّة، والابتعاد عن المأسسة وعن المهامّ التي وجد لأجلها.

يجب التأكيد ـ للحقيقة فقط ـ أنّ الائتلاف وعلى صعيد ممكناته قدّم ما يمكنه للداخل السوريّ، لكنّ العجز الشديد كان أقوى وأكبر من أن يُظهر ما يقوم به. فمثلاً: كان التقدير قبل عام للحاجات الأوّليّة يتجاوز الـ ٥٠٠ مليون دولار شهريّاً كي يستطيع النهوض بالأعباء، وحين لا يصل عشرها، بل وأقلّ، كيف سيتصرّف؟ ناهيك عن أنّ صراعات الاستنزاف فيه أبعدته عن معالجة المشاكل الكثيرة.

مع ذلك، هناك اليوم جوّ إيجابيّ يعمّ الأغلبيّة في أهمّيّة وضرورة إصلاح أوضاع الائتلاف ومأسسته، ووضع برامج عمليّة لمهامّه، والانفتاح الحقيقيّ على القوى المعارضة والحراك الثوريّ والعسكريّ والمدنيّ ودعم الحكومة بأقصى الممكن للنهوض بأعبائها الكثيرة، ومعالجة الوضع العسكريّ باتجاه التوحيد، والضبط، وتكريس المهنيّة، والعلاقة الناظمة مع القيادة السياسيّة.

هو امتحان كبير مطروح بقوّة على المخلصين في الائتلاف والمعارضة لبناء معادلة متوازنة يكون لها شأنها في تعديل ميزان القوى سياسيّاً، وعلى الأرض، والاستناد إليها في أيّ حلّ سياسيّ من شأنه أن ينجز تحوّل بلادنا إلى نظام ديمقراطيّ يُنهي نظام الإجرام والفئويّة والاستبداد.

- **يقال إنّــه لا يوجد تناقض بين الإسلام والعلمانيّة، كيف يمكن فهم ذلك بوجود «النصّ» كمقدّس؟**

عُقاب يحيى: ليست العلمانيّة واحدة في مضمونها وتطبيقها، فبين المطبّق في فرنسا والولايات المتّحدة ـ مثلاً ـ بون شاسع. لقد فهم جلّ الإسلاميّين والمؤمنين في عموم الأديان أنّها معادية للدين، وتدعو للتكفير والإلحاد، في حين أنّها في جوهرها: استخدام العلم في التحليل والتركيب والنظام الديمقراطيّ، وإبعاد الدين عن السياسة كي ينمو بطريقة حرّة، مع حقّ الجميع في العبادة والعقيدة واعتناق وممارسة ما يؤمنون به، ونلاحظ أنّ الدول التي اعتمدت العلمانيّة لم تعش ذلك الصراع الحادّ بين الدين والدولة، رغم أنّ البعض يعود بالأمر إلى الثورة الفرنسيّة وما طرحته من فصل الدين عن الدولة.

الأمر عندنا، سيكون مرتبطاً بفهم القوى العلمانيّة الواقعيّ لمجتمعاتنا، وموقع الدين والإيمان فيها، وكذا موقف الأحزاب والقوى الإسلاميّة المعتدلة من العمل في ظلّ قوانين عامّة ليست دينيّة وإنّما وضعيّة.

- **الأستاذ عُقاب يحيى، شكراً جزيلاً لكم.**

حاوره بشّار فستق

تتمّة
المنظّمات الإغاثيّة السوريّة

شيء يدخل إليها، لذلك يجب الابتعاد عن الاتهام داخليّة وتحسمها من أيّ رغم أنّها قد تحدث من قبل أشخاص ضمن المنظّمة، ولكن لا يعني أنّ المنظّمة هي التي تحتال، لماذا توقّف الدعم الخليجيّ وشحّ أوربيّاً، السبب هو التعامل مع الأفراد وانتهاء الثقة، فيما بعد؛ وأيضاً عبارات التخوين التي أطلقها السوريّون على بعض، ونحن أيضاً «كبلبل زادة» نتعامل مع الكثير من المنظّمات، ولكنّ أغلبهم يتّهمون بعضهم بعدم المصداقيّة، أي أنّ المشكلة فينا.

يقظان الشيشكلي ـ منظمة مرام :

هناك مَن قال: إنّ على الحملات أن تنتهي، ولكنّ الحملة الأخيرة كانت أفضل الحملات، من حيث التضامن بين الجاليات السوريّة، وقد ساهمت هذه الحملة بتوازن جديد ضمن الثورة من إعادة التواصل، وأنا باسم منظّمة مرام، نشكر الشباب الذين ساهوا بها، أمّا موضوع وحدة تنسيق الدعم فهناك لغط كبير، فهم انتقلوا من تنسيق إلى وحدة تلقّي وتنفيذ الدعم، وهذا من المشاكل بين الوحدة والائتلاف.

أمّا موضوع اختفاء المنظّمات، فهناك منظّمات ظهرت واختفت ولا يمكن إنكار هذا الأمر لأسباب ذكرها وائل، أو لأسباب أخرى، لأنّ الوضع التنظيميّ الآن اختلف عن السنتين الماضيتين، فكان الدعم موجّه من قبل فرد يدعم هذه المجموعة، أمّا اليوم أصبح هناك تسجيل وضرائب، والحكومة التركيّة أيضاً تسجّل ما تمّ إدخاله إلى المنظّمة، أمّا موضوع الإعلام، نحن كمنظّمة من أوائل المنظّمات الموجودة، ومجبرين على الكثير من التصوير بهذه الطريقة رغم أنّنا ضدّها، واستمرّينا لمدّة سنة ونصف، دون أن نصوّر، ولكن أُرغمنا، لأنّ المتبرّعين هم من أرادوا ذلك، بالإضافة لعدم وجود شخص محترف بموضوع التصوير، واليوم نحن من المنظّمات التي تبحث عن محترف يستلم موضوع الدعاية رغم أنّه ليس عذر، ولكن للتوضيح، أمّا موضوع المخيّمات فإنّ أغلب المخيّمات القريبة تحصل على أغلب الموادّ، أمّا المخيّمات الباقية - أي في الداخل - قد لا يصلها شيء، وهذا خطأ تنظيميّ من قبلنا كمنظّمات. هذا لأنّ المنظّمات الدوليّة تفضّل العمل في المناطق الآمنة، ولكن يوجد الكثير من الإدارات الجيّدة في المخيّمات التي تعْلمنا أنّها لا تحتاج إلى موادّ معيّنة، لأنّها متوفّرة.

مأمون عثمان ـ منظّمة مسرّات:

أريد التحدّث عن الموضوع الذي طرحه الأستاذ نبيه، فليس خطأ أن يُقال لك أن تقوم بإنشاء منظّمة كي يصلك الدعم، لأنّه سيطلب منك فيما بعد أن تنظّم نفسك بهيكليّة، ومن ثمّ مجلس إدارة، ويجب أن ندعم كلّ المنظّمات كي تأخذ المنحى المهنيّ لتستطيع الاستمرار، ولدينا مثال واضح هو: منظّمة «الأوتشه» التي تضمّ الكثير من المنظّمات لذلك يجب أن يكون هناك مهنيّة، وكلّ الموجدين يعلمون أنّ المجتمع الدوليّ وصل لمرحلة الشحّ بالدّعم والتبرّعات للأفراد والمؤسّسات غير المهنيّة، وأنا لا أرى خطأ بالحملات، ولكن يجب التنظيم والعمل بمهنيّة أكثر.

رند شخّيط منظّمة بسمة وزيتونة:

أريد أن أتكلّم عن موضوع الصورة، هناك الكثير من المنظّمات أطلقت حملات لجمع التبرّعات منذ بداية الصيف للتحضير لشتاء قاسٍ، ولكن لم يكن هناك استجابة، وهذا ما حدث معنا في لبنان، لم يساهم أحد، وبالصدفة نتيجة صورة «بجوّال» للخيم التي يعلوها الثلج تحرّك المجتمع العالميّ، فالصورة لها تأثير لتحريك الضمير، وللأسف لم نستطع التأثير قبل الأزمة.

محمّد عيدو الاتّحاد السوريّ العامّ:

نحن نعرف الإغاثة، وهناك اجتماع للمنسّقين من اتّحادات وشبكات، وقد عملنا على توحيد المفاهيم الإغاثيّة، أمّا الصورة قد تختلف من شخص لآخر، وهناك منظّمات لمدّة سنة ونصف لم تصوّر، ولكنّها تعمل، وهناك أيضاً منظّمة لا تملك صفحة على «الفيس بوك» وهي ناجحة إلى الآن، رغم أنّ هناك الكثير من المنظّمات التي لم تعمل بالصورة والتنسيق قد ضعفتْ وقلّت مواردها، ولكنّ توحيد المفاهيم هو شيء ضروريّ في عالم الإغاثة والتنمية. وردّاً على كلام **«ربيع»** لا أستطيع الآن أن أقوم بعمل تنمويّ لتشغيل مخيّم، ثمّ يأتي القصّ، فلا أستطيع عمل شيء عند ذلك، أي هناك أصول للعمل، لأنّ الداعم يبحث عن الأمان في دعمه، لأنّه لا يوجد لدينا مناطق آمنة، بل هي كذلك نسبيّاً.

أريد أن أركّز على موضوع الإعلام، فنحن نستطيع التحدّث عن وحدة التنسيق، ولكن يجب أيضاً أن نقول: ماذا قدّمت وحدة التنسيق؟

وعن عملها من استبيانات دون مقارنة مع المنظّمات الدوليّة، فالوحدة ساهمت على الأرض وتحدّثت في فترة ما منظّمات قويّة فاعلة، فالإعلام الثوريّ أو السوريّ يلعب دوراً مهمّاً في ترسيخ العبارتين المذكورتين «احتيال واستغلال»، أمّا موضوع «المافيات» الذي ذكره البعض هو أمر عاديّ، فالسلّة تصل إلى شخص بقيمة عشرة آلاف ويقوم هو ببيعها ب٢٠٠٠ فهي لم تذهب إلّا لمحتاج (قاطعه الأستاذ **يقظان** وقال:

الأمر ليس كذلك، بالصورة العامّة فهي تباع للتجّار ليبيعونها للمحتاجين)، أكّد الأستاذ **عيدو** بأنّ كلامه ليس بشكل دائم، ولكن بعض الأحيان تباع للتجّار.

إعداد: باسل العبدالله

مخيّمات الموت تنادي الأحياء، فهل من منقذ لها؟

مخيّمات الموت في الداخل، هذا ما أصبح يطلق عليها بعد موجة البرد القارس التي اجتاحت المنطقة خلال الأيّام القليلة الماضية، والتي كشفت المستور بحقّ أناس هجّرهم جور النظام المجرم من بيوتهم عنوة، إلى أماكن لم يكن يتخيّلها أيّ مواطن سوريّ، ليقطنوا في أكثر من سبعة مخيّمات على الحدود التركيّة، بالإضافة لمئات آلاف الخيم المتناثرة في قرى محافظة حلب، وهم يعيشون في وضع مزرٍ، لا يحسدون عليه، من نقص في التدفئة والألبسة والمأكل والمشرب، وحتّى المسكن.

هذا كلّه، يجري أمام سمع ونظر العالم، الذي لم يحرّك ساكناً بحقّ شعب يُقهر ويقتل ويهجّر؛ أمّا ما حدث في باريس فقد حرّك العالم بأسره واهتزّت له أوربّا وأمريكا، فإلى متى أيّها العالم ستظلّ صامتاً بحقّ شعب سورية؟

جريدة «كلّنا سوريّون» التقت مع عدد من ساكني هذه المخيّمات، فكان جوابهم ومطلبهم واحد لأنّ البرد واحد والمسكن واحد وإلههم واحد، وهو: أنقذونا نحن وأطفالنا ونساؤنا من البرد القارس أطعمونا من الجوع القاتل نريد دواء للمرّض الذي حلّ بنا ألبسونا في ظلّ هذا الظرف الصعب.

وأضاف النازحون: نحن نعيش في أسوأ الظروف من خيم مهترئة وأرض موحلة من السماء ماء ومن الأرض ماء وبرد لم نره في حياتنا.

فهل من مجيب لهؤلاء القوم البائسين المشرّدين الجائعين؟

إحصاءات وأرقام، هل مِن مُجيب؟

ومتابعة لهذا الموضوع، التقت جريدة « كلّنا سوريّون» مع «عارف شريفة» رئيس مكتب الشؤون الاجتماعيّة والإغاثيّة في مجلس محافظة حلب الحرّة الذي حدّثنا قائلاً: بعد موجة البرد التي اجتاحت المنطقة وما وصل إليه وضع النازحين من سوء، قمنا بإعلان حالة الطوارئ في مناطق المخيّمات في الريف الشماليّ وفي مناطق تناثر الخيم في المناطق المتفرّقة في قرى محافظة حلب المحرّرة، كما قمنا بإطلاق حملة «زمّلوني» بهدف تقديم ما نستطيع من احتياجات للنازحين، وقمنا أيضاً بالتواصل مع المنظّمات والجهات الداعمة لدفعهم لتقديم الدعم لهم، وأضاف «شريفة « لقد قام مكتب الشؤون الاجتماعيّة والإغاثيّة بمسح كامل للمخيّمات من أعداد الخيم والأسر وتحديد كافّة الاحتياجات التي يتطلّبها النازحون في المخيّمات السبعة، بالإضافة إلى المخيّمات المتناثرة، وهي مخيّم باب السلامة ومخيّم سجّو ومخيّمات شمارين (ضاحية الشهداء والإيمان والنور) ومخيّم إكدة بالإضافة إلى المخيّمات المتناثرة مثل عبطين والصعيبيّة والعامريّة في الريف الجنوبيّ ومخيّمات صغيرة في قرى مارع من الجهة الجنوبيّة الشرقيّة في قرية الورديّة وما حولها؛ وعن عدد الخيم التي تمّ إحصاؤها من قبل المكتب قال «شريفة « لقد بلغ عدد الخيم /٤١٧٥/خيمة في المناطق التي ذكرناها سابقاً بالإضافة إلى/١٣٩٢/ كارفاناً، كما بلغ عدد العائلات /٥٣١٥/عائلة حيث بلغ عدد سكّان المخيّمات /٣٠٧٨٥/ نسمة. وأوضح «شريفة» قائلاً: يوجد في المخيّمات /٨١٥٠/ طفلاً، وقد بلغ عدد الأيتام /٧٦٢/ يتيماً، كما يوجد /٧٢٧/شهيداً، بالإضافة إلى /٤٨١/ من ذوي الاحتياجات الخاصّة. وعن أهمّ الاحتياجات التي يتطلّبها النازحون قال «شريفة « يحتاج النازحون وبشكل سريع إلى لوازم تدفئة من مدافئ ومحروقات وبيرين ولباس شتوي وحرامات واسفنجات وإلى سلل غذائيّة وخيم وأرضية خيم، كما يحتاجون إلى دور لرعاية المسنّين ونقاط طبّيّة وإنارة للخيم، وأضاف «شريفة» هناك مخيّمات تحتاج إلى تعبيدها بالبحص وصرف صحيّ وخيم جديدة بدل المتضرّرة، وخاصة في مخيّم النور في شمارين، وبالنسبة للجهات الداعمة لهذه المخيّمات هناك عدد من المنظّمات مثل أي هاي هاي (ihh) ومرسي كوربس وميركل وسيما والهلال الأزرق وnrc، وأوضح «شريفة» مع وجود كلّ هذه المنظّمات فإنّ هذا الدعم لا يكفي والوضع سيّء جدّاً، فنحن نطالب باستبدال الخيم بكارفانات فهي تحقّق وضع أفضل للنازحين، وأشار «شريفة» بالنسبة للمخيّمات المتناثرة في الريف الجنوبيّ وقرى مارع وغيرها، لا يوجد جهات داعمة لها، وهي أيضاً تحتاج إلى دعم لكافّة الاحتياجات التي ذكرناها سابقاً.

في النهاية، هذه قصّة ساكني خيم الموت التي لا تقيهم برد الشتاء ولا حرّ الصيف؛ هل من سيسمع صوتهم ويلبّي احتياجاتهم؟ والأهمّ من ذلك، هل يستطيع العالم أن يُعيدهم إلى منازلهم ويوقف عنهم ظلم جبّار متكبّر شرّدهم وأوصلهم إلى هذا الوضع؟؟

بدر حسين

السكن تحت أشجار الزيتون

على مدى أربع سنوات والوضع السوريّ يزداد سوءاً، وما من شكّ بأنّ المواطن السوريّ هو الذي يدفع فاتورة ما يحصل، فالقصف المستمرّ على المناطق المحرّرة بكل أنواع الأسلحة وما يخلّفه من دمار على نطاق واسع أثّر بشكل كبير على وضع السوريين في هذه المناطق، فهناك العديد من العائلات السوريّة في الداخل فقدت بيوتها وأصبحت بدون مأوى وعدد ليس قليلاً، ماذا بإمكانها أن تفعل لتؤمّن مكاناً بديلاً لها يقيها حرّ الصيف وبرد الشتاء،

بيوت سوّيت بالأرض

أبو أكرم وعائلته المؤلّفة من زوجته وخمسة أولاد أكبرهم أكرم، هي إحدى العائلات الكثر في سراقب ممن هُدمت بيوتهم وأصبحوا بدون مأوى، توجّهنا إلى المكان الذي بنت به عائلة «أبو أكرم» خيمتها التي أصبحت بديلاً عن بيتهم، يقول «أبو أكرم»: سقطت بالقرب من البيت عدّة قذائف وفي كلّ مرّة نقوم بإصلاحه وترميمه ونعود للعيش فيه، لكن المرّة الأخيرة عندما عدنا إليه بعد استهداف المدينة بالبراميل المتفجّرة في شهر آب من العام الماضي وكانت الصدمة كبيرة عندما وجدنا أن بيتنا قد سوّيَ بالأرض، لم نخسر البيت فقط لقد خسرنا كلّ الأشياء التي يحتاج إليها الناس من (معدات البيت وأثاثه وكلّ ما يحتاجه المنزل) لقد بتنا لا نملك إلّا ثيابنا وبعض الأشياء التي كنّا نأخذها أثناء نزوحنا المؤقّت أي أثناء الهجوم على المدينة وقصفها، فنحن نخرج من الساعة السادسة صباحاً ولا نعود حتّى يتوقّف الطيران بالهجوم على المدينة، وأحياناً كثيرة نبقى ساعات طويلة قد تمتدّ طوال النهار، لم يبق لنا سوى هذه «الطريزينة» (وهي عبارة عن درّاجة ناريّة لها ثلاث عجلات).

أبو أكرم كان عامل طِلاء (دهّان) يساعده ابنه الأكبر «أكرم» في عمله. تحدّثنا «أمّ أكرم» عن وضعهم منذ بدء الثورة وتقول: كان أكرم وأبوه يعملان لساعات طويلة لتأمين ما نحتاجه من مستلزمات الحياة وبعد قيام الثورة بدأ العمل يقلّ شيئاً فشيئاً، وتستمرّ في الحديث عن ابنها أكرم، كان – الله يحميه - يطلع بالمظاهرات السلميّة مع انو صغير وبقي هيك متل رفقاتو وعند اللي تسلّحو ما رضي إلا يكون متلن، والله كبر بالثورة» أكرم من مواليد ١٩٩٦، التحق بصفوف الثوّار وتكاد لا تخلو معركة إلّا وأكرم ضمنها، يقول الأب.

أطفال وأمّهات يعملون لتأمين لقمة العيش

وعند سؤالنا لهم عن كيفيّة تدبير أمورهم اليوميّة ومتطلّبات الحياة؟ قالت أمّ أكرم: نعمل أنا وابنتيّ أعمالاً يدويّة مثل النسيج على «النّول» وفي الخياطة – الحمد لله مستورة - فهناك الكثير من معارفنا وأقاربنا يأتون لعندنا لشراء ما نشتغله، لكنّ الإنتاج قليل جدّاً وذلك لأنّنا نعتمد كليّاً على العمل اليدويّ، فمثلاً مكنة الخياطة كنّا قد حوّلناها إلى مكنة يدويّة لعدم توفّر الكهرباء، وتضيف «بس نحنا في الليل منشغل ضو، الله يطول عمرو لأبو أكرم وصلنّا من بطارية الطريزينة كهربا».

ونتوجّه إلى الفتاتين «لمى وصفا» تقول لمى: كان عمري ١٣ عاماً عندما بدأت الثورة كنت في المدرسة أنا وأختي وكنّا من المتفوّقات، وبالرغم من استمرار القصف تابعنا الذهاب إلى مدارسنا، ولكن عندما هُدم بيتنا واضطررنا إلى العيش في هذه الخيمة لم نعد نذهب للمدرسة وحتّى مدرستنا قُصفت هي الأخرى، وأصبحت أنا وإخوتي بدون مدرسة، فنحن نساعد أهلنا في جميع الأعمال، وهنا يتدخّل الأخ الأصغر «حمّودي» قائلاً: في الأمس عندما كان موسم الزيتون عملنا في حواش الزيتون جميعنا لنساعد أبي، وأيضاً عند حصاد الكمّون عملنا معه في الحصاد.

وبدأ يعرض علينا صوره التي كان قد التقطها له والده أثناء الحصاد ويردف قائلاً: «رح نبقى نضحك ونشتغل حتّى لو هدم بيوتنا وما رح نسكت حتّى ناخد حريّتنا وأنا بس اكبر شوي رح انضم لأخي أكرم ورفقاتو».

مأساة يتشارك بها الجميع

تقول أم أكرم: لسنا الوحيدين في هذا الوضع هناك الكثير من العائلات فقدت منازلها وسكنت في خيم مثلنا، وبدأت تعدّد لنا أسماء العائلات التي تسكن الخيم مثلهم تحت أشجار الزيتون، وتحمد ربّها أنّهم لم يكونوا في المنزل أثناء سقوط البرميل عليه، وتحدّثنا عن أحد معارفهم وكيف سقط البرميل على منزلهم وكانوا بداخله ولم يسلم منهم أحد.

ويخبرنا «أبو أكرم» بأنّ جارهم «أبو ماجد» وزوجته وأولاده السبعة، الذي بنى خيمته بالقرب منهم وهو مريض لا يستطيع العمل، كل يوم تطبخ «أم ماجد» شوربة العدس وفقط، فهم لا يستطيعون شراء الحدّ الأدنى من حاجيّاتهم، وهذا حال جميع من سقطت على بيوتهم البراميل وأصبحوا من سكّان الخيم، فمنهم من بنى خيمته بالقرب من أرض زراعيّة ليست له، وذلك بغية تأمين الماء من بئر «ارتوازيّة»، معظم النازحين من سكّان الخيم يعانون من قلّة الماء وأغلبهم يقوم بشرائها من صهاريج الماء وبأسعار مرتفعة، تصل إلى ٣٠٠٠ ليرة سوريّة، وقد يزداد سعره حسب الحاجة للماء ففي الصيف يزداد سعره أضعافاً مضاعفة، وفي أحيان كثيرة يكاد يكون تأمين الماء من الأمور الصعبة وهي من أهمّ المشاكل التي تواجه سكان هذه الخيم، ويضاف إلى ذلك أنّهم يطّرون إلى دفع سعر كامل الصهريج ولا يأخذون إلّا جزءاً منه بسبب عدم وجود خزّانات تتسع لكامل الصهريج، أمّا طهو الطعام فيتمّ على الحطب وبذلك يكون جمع الأخشاب مهمّة يقوم بها أطفالهم ويستخدمونها للطّهو وللتدفئة في الشتاء، هذا ويكون العبء الأكبر على كاهل أمّ أكرم التي تقوم بجميع الأعمال لتأمين الحدّ الأدنى من العيش لها ولعائلتها.

فلك الخالد

الحلم الأوّل للصانع الأوّل

وصلت إلى بريد الصحيفة الإلكترونيّ رسالة من إسبانيا، عرّف مرسلها عن نفسه بقوله: اسمي أيمن بيطار من مواليد دمشق ١٩٨١

ومن خلال حديثنا معه اكتشفنا العديد من المواهب لدى هذا السوريّ، والذي لم تتح له الفرصة لكي يقوم بما يحبّ وينجح، إلّا في بيئة أخرى؛ وقد تسلسل سرده لما مرّ به حتّى اليوم برهافة، لم نتدخّل السياق إلّا لنستوضح منه بعض النقاط؛ وهكذا جاء ما رواه لنا وما تابعناه من حكاية عمله، فقال:

عندما كان عمري ٧ سنوات صنعت آلة موسيقيّة، هي عبارة عن صندوق ماكينة خياطة أمّي وعصا لتكون الزند، كانت الأوتار عبارة عن خيطان من النوع الذي كنّا نضمّ فيه حبّات السبحة.

في سن الـ ١١ اشتريت أوّل غيتار لأتعلّم العزف.

بدأت بالعزف محبّاً للموسيقى العربية والإسبانيّة، وكان التلفزيون - في ذاك الوقت - يعرض برنامج اسمه «القيثارة الطليقة».

عشقت الموسيقى الإسبانيّة وقررت الاحتراف، درست عند أفضل مدرّسي الغيتار السوريّين للموسيقى الإسبانيّة الكلاسيكيّة. كنت أريد أن أدرس موسيقى الفلامنكو، ولكن لا يوجد مدرّسين محترفين لهذا النوع في سورية.

درست موسيقى الفلامنكو عن طريق الكتب والفيدوهات، والسماع ساعات وساعات. قدّمت أوّل أمسية موسيقيّة في المركز الثقافي العربيّ، وملكني ذلك الشعور عند العزف على المسرح. بعدها قدّمت الكثير من الأمسيات الموسيقيّة في دار الأوبرا بدمشق، وفي عدّة محافظات أخرى، وفي لبنان.

عملتُ كمدرّس غيتار في المركز الثقافي الإسبانيّ بدمشق (Cervantes) أخيراً، وبعد كلّ هذا قرّرت الاحتراف بشكل أكثر أكاديميّة.

قرار الرحيل

وفعلاً، في عام ٢٠١١ ذهبت إلى إسبانيا للدراسة بشكل أكاديميّ، فدرست في كونسرفاتوار برشلونة، وعلى يد أساتذة بشكل خاصّ، وقدّمت العديد من الأمسيات لموسيقى الفلامنكو في إسبانيا.

في السنة الماضية، شعرت برغبة بأن أعيش الفلامنكو الأندلسيّ القديم في الأندلس، لأنّه الفلامنكو التقليديّ الحقيقيّ، فانطلقت أنا زوجتي من برشلونة إلى غرناطة.

وفي ليلة صيف، بعد نهار طويل سرنا فيه للتعرّف على أحياء المدينة الجميلة، بعد أن تعرّفت على أهمّ مصنّعي الغيتار الإسبانيّ اليدويّ، جلسنا – أنا وزوجتي - على سطح بيتنا الجديد المطلّ على قصر الحمراء، وفي القصر مهرجان (فيستيفال) فلامنكو، و كان الهواء ينشر الصوت.

قلت لزوجتي: كم أتمنّى أن يكون لديّ غيتار حقيقيّ من خشب حقيقي وفيه رائحة خشب السرو.

قالت زوجتي: لماذا لا تصنع أنت الغيتار الذي تحلم به. وهنا اكتملت الفكرة التي كانت شبه نائمة في طفولتي، قرّرتْ أن تصبح كبيرة وواقعيّة.

في اليوم التالي، ذهبت إلى عدد من مصنّعي الغيتار، أسأل أن أتعلّم منهم. الأكثريّة رفضوا، ومن لم يرفض قال: إنّ لهذه المهنة أسراراً، وهي تُنقل من الأب إلى الابن. قالوا وقالوا.. ولم أسمع. عدت حزيناً إلى البيت وأخبرت زوجتي بما حصل.

الإصرار رغم الرفض

لكنّ ما حصل جعل عندي إصراراً أكبر لأصنع غيتاري بيديّ. اشتريت بعض الكتب وشاهدت مئات الفيديوهات على يوتيوب، اشتريت الخشب وبعض أدوات العمل وبدأت بصناعة أوّل غيتار.

بعد شهرين ونصف انتهيت من صناعة أوّل غيتار

وذهبت إلى صانع غيتارات مشهور بغرناطة، يقال إنّه شخص جيّد، ذهبت إلى هذا الصانع اسمه خوان ميغيل كارمونا Juan Miguel Carmona)) وسألته النصح،

فسألني: أنت الذي صنعت هذا الغيتار؟ من أين أنت؟ وماذا تعمل؟

قلت له: أنا صنعته نعم، وأنا سوريّ، عازف ورسام وأحب الفنّ، رأيت العديد من الفيديوهات وقرأت الكثير عن صناعة الغيتار، وصنعت هذا الغيتار في بيتي.

أعطاني بعض النصائح المفيدة وقال لي إنّه يريد أن يرى غيتاراً آخر من صناعتي. بعد شهرين، ذهبت إلى خوان ميغيل مع غيتاري الثاني لأسأله عن عملي ولآخذ بعض النصائح، فقال لي: لقد تحسّنت بشكل كبير وسريع، أنت موهوب وتحبّ الغيتار يمكنك أن تأتي كلّ يوم إلى ورشتي وأنا سوف أعلّمك أسرار الصناعة لتصبح صناعتك احترافيّة.. سعادة ما بعدها سعادة أصبح لي معلّم وأستاذ..

كنت أذهب كلّ يوم لأتعلّم في ورشته وأستفيد من خبرته وخبرة أصدقائه الصانعين الشكر له ولهم. أعطاني وعلّمني أسرار الغيتار وأسرار أنواع الخشب وسماكته ووزنه والكثير من المعلومات القيّمة.

غيتار مصنوع من القلب

أخذت محلّاً لأجعل منه ورشة صغيرة لصناعة الغيتار، وبدأت العمل باحترافيّة أكثر وجماليّة.

بِعت العديد من الغيتارات إلى عدّة عازفين. والآن، استمتع بصناعة الغيتار والرسم والعزف، لأنّ الفنّ ليس له حدود.

الغيتار الذي يصنع في المعمل على الماكينات التي ليس فيها روح، من المؤكّد أنّه سيخرج غيتاراً

بلا روح) من أجل إيجاد الروح داخل الغيتار يجب أن يكون مصنوعاً من القلب).

أشعر بالسعادة الحقيقيّة والفخر لأنّني السوريّ الأوّل الذي يصنع الغيتار الإسبانيّ.

أيمن بيطار

بسمة على الجدران

لأنّهم أطفال سورية فابتسامتهم تعني الكثير، ابتسامتهم لها إيحاء كبير ومميّز لأنّهم أطفال سورية، ويستحقّون منّا الكثير، ويحتاجون لابتسامة تمسح عن جبينهم آثار الحرب التي آن لها أن تنتهي.

ومن أجل رسم هذه البسمة ... ونقش تلك الفرحة في قلوبهم، استقدمت إحدى المنظّمات فرقة المهرّجين الألمان للأطفال في يوم عيد الأضحى من العام الماضي، وقامت بتوزيع حقائب وقرطاسيّة وملابس صوفيّة عليهم في مدارسهم.

ثمّ جاءت خطوتها الأخيرة، لإعادة الابتسامة والفرحة، وذلك باستقدامها للرسّام الأمريكيّ آموس غريغوري.

رسالة وفرحة

لدى سؤالنا السيّد «محمّد كنداوي: مدير الوكالة السوريّة الحرّة للإنقاذ عن الهدف من الحفلة؟ أجابنا بأنّ هناك هدفان: أوّلهما، إيصال رسالة الأطفال للعالم من خلال الرسومات بأنّه حان الوقت لوقف الحرب في سورية وعودة السلام والأمان إليها، وثانيهما، وهو الأهمّ، بسمة الأطفال وفرحتهم والتي لا تقدّر بثمن. وعند سؤاله عن المعوقات التي تواجه الوكالة في عملها؟ كان جوابه: أكبر عائق يواجهنا هو ضعف الدعم والإمكانيّات.. ونحن في الوكالة رغم بساطة الامكانيّات نطمح ونجهد لرسم الابتسامة على وجه أطفالنا وزرع الفرحة في قلوبهم، لكنّنا دائماً ما نصطدم بعائق الإمكانيّات.

وعرّف المدير «كنداوي» بالمنظّمة قائلاً:

هي وكالة سوريّة غير حكوميّة غير ربحيّة، تأسّست في الشهر الأوّل من عام ٢٠١٣ مقرّها تركيا وسورية، وهي تعنى بالمصابين والجرحى السوريّين نتيجة أعمال القتل والعنف التي يتعرّض لها السوريّون من كافّة أطراف النزاع وعلى كامل مساحة البلد، كما وتعمل على تقديم مختلف أنواع المساعدة الإنسانيّة، الطبّيّة منها والإغاثيّة لكلّ السوريّين على حدّ سواء، و تؤكّد الوكالة أنّها غير مرتبطة بأيّ حزب أو تيّار سياسيّ أو عرق أو دين أو طائفة، كما وتعمل الوكالة على لفت انتباه العالم للوقوف إلى جانب مأساة الشعب السوريّ ومساعدته لتجاوز هذه الأزمة.

أنا رسمت لوحة جداريّة

وعندما التقينا بالرسام الضيف «آموس غريغوري» الذي جسّد برسوماته رسالة أطفالنا بشكل رائع ومميّز، فقد أوصل رسالتهم وأبهج قلوبهم، قال: أنا أعمل مع قدامى المحاربين في الجيش الأمريكيّ، وإنّ رسم الجداريّات عن الحرب والصدمات النفسيّة في الشارع، هو صلب عملي، وقد بدأت بذلك في سان فرانسيسكو، وما ترونه اليوم هو نوع منه. وأوضح «آموس غريغوري»

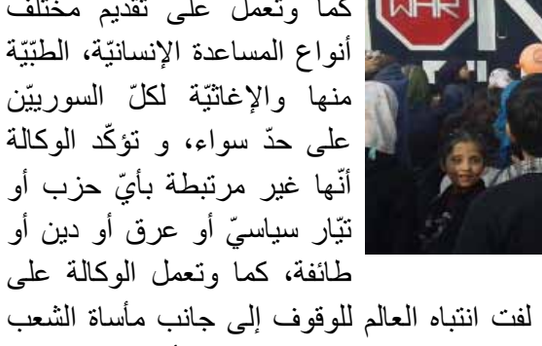

الفكرة الرئيسيّة والهدف من عمله هنا بالقول: الفكرة التي أعمل عليها عبارة عن الصدمة، الصدمة التي يعيشها الأطفال السوريّون هي نفسها الذي يعيشها المحاربون القدامى.

وفسّر الفنّان لنا مراحل التعليم التي يتّبعها في التعامل مع الأطفال والمجتمع:

حتّى تعطيهم خبرة في الحياة ولكي نستطيع مسايرة الواقع، ولكي نبيّن لهم أيضاً كيفيّة، ننطلق إلى العالم من الصدمة، ولكن في كلمات خاصّة، أنا هنا كبداية أعمل وفي المرحلة الأولى على القيام بأعمال فنّية للناس. كم نعلّمهم الأدوات اللازمة لإنشاء الصور الخاصّة بهم من قصصهم.

ويشرح الفنّان نشأة القضيّة المجتمعيّة لديه:

تظهر قوّة في المجتمع عندما يتعلّق الأمر بالإنسانيّة، فالأهمّ هو التعرّف على المجتمع المحيط بالمدرسة، أو رؤية الأطفال وأهاليهم وتعلّم قصص من معاناتهم وحياتهم ليس فقط من إرهاب الأسد. لدي القضايا نفسها من آمال وأحلام شعبي، وهم من المهاجرين الذين قدموا لأمريكا كعبيد، فأنا أسعى لخلق التضامن بين قضايا الناس، لذلك نفّذت هذه اللوحة الجداريّة.

وعندما طلبنا من الرسّام «آموس غريغوري» أن يوجه كلمة إلى السوريّين عموماً قال:

كلّ من يقرأ هذه الكلمات في سورية أرجو أن يفهم أنّنا مع الآخرين الذين يحاربون لإنهاء معاناتهم، رغم أنّ حكومتنا (الولايات المتّحدة) تفعل العكس، والذي يفعل ما بوسعه لإنهاء معاناتهم يقوم بهذا الشيء بدافع الحبّ. أمّا كلماتي الأخيرة، فأريد أن أؤكّد: ((أنا خادم للمجتمع، ولكنّي لست عبداً، تألّق عندما تتألّق)) آموس غريفوري.

في الحفلة

كانت الحفلة في معهد الإيمان في منطقة نارلجة في مدينة أنطاكية التركيّة، حيث حضرها أطفال المعهد مع أطفال مدرسة الهدى والذين فاق عددهم الـ ٢٥٠ طفلاً، تخلّل الحفلة توزيع الوكالة الملابس الصوفيّة والحلوى والشوكولا على الأطفال، ممّا ترك عظيم الأثر في نفوسهم.

أنطاكية ـ كلّنا سوريّون

مجزرة النّهر

يوم ليس كباقي الأيّام، حين استفاق أهالي حلب على هول واقعة لم يشهد تاريخ البشريّة لها من مثيل، فالنهر الذي كان منبع الحياة لحلب وكان أهالي حلب يذكرونه بين الجدّ والهزل تحوّل على يد النظام المجرم إلى نهر الموت الذي يحكي عن مجزرة راح ضحيّتها حوالي ٢٤٠مدنيّاً بريئاً بينهم نساء وأطفال.

وكعادته حاول المجرم (النظام الأسديّ) اتّهام المعارضة بقتلهم مدعّماً روايته بحجج لا تنطلي على الطفل الصغير.

وبما أنّ المعهد السوريّ هو من قام بتوثيق هذه المجزرة من خلال كوادره، توجّهنا إلى إدارة المعهد، حيث قابلنا مدير المعهد المحامي عبد القادر مندو، وحدّثنا عن المجزرة قائلاً: ظهرت الجثث صبيحة يوم الثلاثاء تاريخ ٢٠١٣\١١\٢٩ نتيجة انحسار تدريجيّ لمياه نهر «قويق» حيث كانت الجثث على طرفي سرير النهر في حيّ بستان القصر، وتمّ انتشالها، وكان عددها ٩٠ جثّة، ظهر عليها جميعها آثار التعذيب وكانت بغالبيّتها مكمّمة الأفواه ومكبّلة الأيدي.

توالى وصول الجثث على مدى ٤٥ يوماً، وكانت تصل الجثث بمعدّل ١٥ جثّة كلّ أسبوع، وكان آخر وصول للجثث يوم ٢٠١٣\٣\١٣ وذلك بعد أن رأينا إغلاق العنفات التي تغذّي النهر من سدّ تشرين في الريف الشماليّ، وأخذنا قراراً بذلك من مجلس القضاء الموحّد، وذلك لقطع الطريق على النظام في الاستمرار في مجزرته التي جمعنا الكثير من الأدلّة على أنّه هو من قام بالمجزرة.

بلغ العدد النهائيّ للجثث ٢٤٠ جثّة بينها شيوخ وخمس نساء وطفل عمره لا يتجاوز ١٥ عاماً وكلّ الشهداء مدنيّون، وهنا: عدد من الجثث دفعته مياه النهر لمسافة ٢٥ كم جنوب حلب، تمّ التعرّف على ٦٠ جثّة من قبل ذويهم وسلّمت إليهم أصولاً، وتمّ فيما بعد أخذ شهاداتهم، أمّا الجثث التي لم يتمّ التعرّف عليها تمّ تسجيل مواصفاتها وأخذ صورة عنها وأعطيت رقم في السجلّات، مطابق لرقم القبر الذي وضِعتْ فيه.

قام المعهد من خلال مجموعة من المحامين وأخصائيّين بالأدلّة الجنائيّة وأطبّاء شرعيّين بإعداد ملفّ دعوى جنائيّة، ورفعت للمحكمة الجنائيّة الدوليّة وقيّدتْ في سجلّاتها، وإلى اليوم لم تحرّك المحكمة ساكناً في هذه الدعوى، ولا زلنا نتابع الملفّ إلى اليوم.

وللوقوف على حالة الجثث وتشخيصها قمنا بزيارة رئيس الطبابة الشرعيّة الملقّب «أبو جعفر» أخصائيّ بالأدلّة الجنائيّة والذي أدلى بشهادته قائلاً: أنا من قمت بتشخيص كلّ الجثث، ورأيت أنّ كلّ الجثث قد قتلت من مسافة قريبة وبطلق بالرّأس من سلاح حربيّ أدّى إلى انفجار الجمجمة وخروج المادّة الدماغيّة من مكانها كلّها أو قسم كبير منها كما أنّ آثار التعذيب ظاهرة على معظم الجثث، وبعض الجثث شوّهت بالأسيد، كما أنّ بعض الجثث، ونتيجة مكوثها بالماء لأكثر من أسبوع، ضاعت معالمها وأصبح من الصعب التعرّف عليها، وقبل دفن الجثث قمنا بأخذ عيّنات من الشعر لتحليلها فيما بعد للتعرّف على أصحابها.

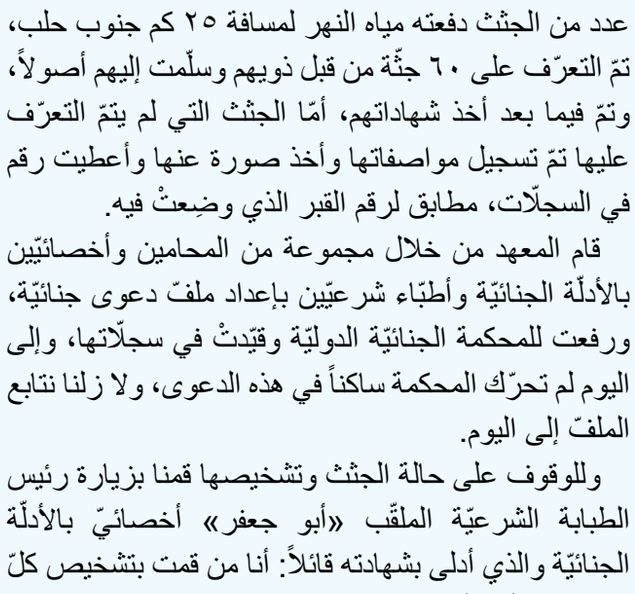

الشهادات كثيرة حول المجزرة سواء من قبل الناشطين الذين انتشلوا الجثث من النهر أو من قبل أهالي الشهداء الذين تعرّفوا على أبنائهم، حيث أكّدوا أنّ أبناءهم فُقدوا في المناطق التي يسيطر عليها النظام، وأنّهم إمّا ذهبوا للعمل أو شراء حاجياتهم، أو من قبل بعض من قام بهذه المجزرة بعد أن تمّ أسرهم من قبل الجيش الحرّ وسماع شهاداتهم.

ها هي سنتان مرّت على المجزرة وهي ليست الوحيدة بحقّ الشعب السوريّ ولا زالت المجازر مستمرّة تحت نظر وسمع العالم أجمع دون أن يتحرّك المجتمع الدوليّ لاتّخاذ موقف يُدين الجزّار الذي ما فتئ يفتك بشعبنا.

المحامي عبّاس الموسى

الثورة السوريّة بين حرب الاستنزاف وتجارة الأسلحة...

منذ بدء ثورتنا، أو كما يسمّيها البعض الأحداث في سورية، عمل نظام الأسد جاهداً على قتل الأمن والأمان وخلق حالة من الرعب والحياة في ظلّ غابة، مستخدماً كلّ وسائله في زجّ الإرهابيّين الذين تكلّم عنهم منذ بداية ثورتنا، ولِمَ لا؟ وهي المسبّب الرئيسيّ والمبرّر الوحيد في قصف المدنيّين العزّل، الأمر الذي جعل من تجارة السلاح تزدهر، وبشكل كبير فأصبحت تلك المهنة مثل الكنز يجهد أصحاب الحاجة والباحثون عن المجد، هواة ومحترفون، والكلّ ممّن يكونون ذات أنفس ضعيفة ورخيصة، هنا يلهث خلف زغردة السلاح الأقوى، الإقبال الكثيف خلق منافسة شديدة بين أصحاب المهنة الواحدة، هكذا يحتدم الصراع على مختلف المستويات، كلّ الأسلحة في ساحة القتال مباحة، سواء الدينيّة أو العسكريّة، وفي الوقت نفسه المال الوفير الذي يعرض لتأمين السلاح، الإغراء هنا لا يُقاوم، ملايين الدولارات تُصرف يُمنة ويُسرة في هذه اللعبة، والكلّ يتمنّى ويرغب في اللّعب في تلك اللّعبة، بل أصبح نوعاً من المدح (ماذا تعمل؟ تاجر سلاح، والحمد لله) هذه العبارة سمعتها من أكثر من شخص سوريّ يقيم بين تركيّا والأراضي السوريّة، وقد برز اسم تركيّا كأحد الأماكن التي تزدهر فيها تلك التجارة، وهناك مدن تركيّة صغيرة على الحدود مع سورية تعدّ نموذجاً لانتعاش تجارة الحرب، حيث أخذها التجّار كمنافذ لبيع كلّ أنواع السلاح، وكان واضحاً أنّ المشترين في هذه المتاجر أشخاص يتدفّقون عليها من مختلف أنحاء الشرق الأوسط، حتّى أصبحت هذه المدن تُعرف بالقاعدة الجديدة للبيع والشراء لمعدّات الحرب، ويقول الأتراك أصحاب هذه المتاجر: إنّ عملاءهم من الأجانب يتحدّثون العربيّة وبينهم «مصريّون وعراقيّون وأردنيّون وليبيّون وسودانيّون»، وذلك كلّه يؤثّر سلباً على اللاجئين المقيمين في تركيّا، لأنّه يتهمها بأنّها الداعم الرئيسيّ لتلك التجارة بسبب فتحها للحدود مع سورية، إلّا أنّ قوّات الأمن التركيّة تحاول جاهدة أن توقف تلك التجارة، ولكنّ كبر الشريط الحدوديّ يسبب عجزاً في توقيف تلك التجارة.

ليبيا السوق الأكبر عربيّاً في السلاح

لا يختلف اثنان في أنّ ليبيا أصبحت أكبر سوق سوداء للسلاح، وذلك جعل منها مقصداً لتجّار الأسلحة والمافيات الدوليّة، هناك تنخفض أسعار قطع السلاح كثيراً كأنّك تشتريها من بلد المنشأ، حيث هناك خدمة التوضيب والتوصيل تحصل عليها مجّاناً بمجرّد شراء بضاعتك، إنّ السلاح هناك متوفّر بسهولة، وفي متناول الجميع، ويشير إلى أنّ سهولة توضيب شحنات السلاح وإرسالها إلى أيّ بلد كان تكاد تشعرك بأنّها كالمساعدات الغذائيّة.

لبنان تزدهر في تجارة السلاح...

وأمّا في لبنان فالسوق ازدهر بعشرة أضعافه، كذلك ازداد بشكل ملحوظ عدد العاملين بمهنة تجارة السلاح وتهريبه لما تؤمّنه من أرباح ومردود مادّي لفئة المغامرين العاملين في هذه المهنة المعقّدة، ناهيك عن حقول الألغام التي زرعتها قوّات النظام على طول الحدود البريّة الشرقيّة والشماليّة مع لبنان، وهذا أمر مضحك، فهم زرعوا في أماكن وتركوا أخرى، لأنّهم الرؤساء لتلك المافيات، إلّا أنّ السواتر الترابيّة التي وضعتها قوّات الجيش اللبنانيّ جعلت تلك العصابات تلجأ إلى البغال في نقل أسلحتهم وبضائعهم، ومن أكثر المعابر شهرة في لبنان لتهريب السلاح والممنوعات تنتشر في كلّ من مناطق وادي خالد وعرسال وجرودها.

حرب استنزاف الدم السوريّ بأيدي تجّار السلاح..

أمّا الآن، وبعد استنزاف للدم السوريّ لمدّة أربع سنوات لم يعد السلاح الخفيف مطلوباً هذه الأيّام، يبحث تجّار السلاح عن سلاح متوسّط أو ثقيل، مثل (قذائف المدفعيّات والهاون والصواريخ) إن وجِدت، فمسرح المعارك السوريّ متعطّش لسلاح يحدث فرقاً، في البدء كان شراء رشاش روسيّ وتهريبه إلى سورية إنجازاً كبيراً، ولكن لم يعد الحال كذلك، بل اختلف كثيراً حتّى تكاد تنعدم أهمّيّة الرشّاش الروسيّ بالنسبة للثوّار، حتّى تحوّل الأمر إلى تجارة أسلحة وتهريب عكسيّ، وتحديداً للرشّاشات الروسيّة التي فاضت بها سوق السلاح السوريّة حدّ التخمة، فالأسلحة الثقيلة هي التي تميل كفّ الميزان، إذ ترى مصادر في المعارضة السوريّة المسلّحة أنّ استمرار الحال على ما هي عليه، تعني استنزاف دماء الشعب السوريّ، ويقول أحدهم) لن يُسقط الكلاشنيكوف النظام، نريد صاروخاً) انطلاقاً من هذه النقطة يظهر أنّ كلّ هذا من أجل تدمير الشعب السوريّ، وسرقة ثورته وتدمير أرضه وتحويلها لمختبر لإفراغ وتجريب كلّ شحنات السلاح على الأراضي السوريّة وتجريبها على الدم السوريّ.

أمير نجم الدين

اعتقالات تطال كلّ المكوّنات السوريّة

كبرئيل موشي كورية مواليد القامشلي ١٩٦٢مـن القادة السياسيّين القوميّين السلميّين لشعبنا في سورية.

يشغل المهندس كبرئيل منصب مسؤول المكتب السياسيّ للمنظّمة الآثوريّة الديمقراطيّة السوريّة المعارضة التي تعدّ من أقدم الأحزاب الآشوريّة، تأسّست عام ١٩٥٧ .

تعرّض للاعتقال التعسّفيّ بعد قيام جهاز المخابرات العامّة (أمن الدولة) – فرع القامشلي – بمحافظة الحسكة باستدعائه بتاريخ ١٩ كانون الأوّل ٢٠١٣، ثمّ تمّت إحالته إلى دمشق، وجرى نقله إلى سجن عدرا في شباط ٢٠١٤، ومازال محتجزاً حتّى هذه اللحظة، وتتمّ محاكمة كبرئيل أمام محكمة قضايا الإرهاب على خلفيّة اتّهامات منها: الانتماء لتنظيم سياسيّ سرّي غير مرخّص، والتحريض على العنف للإطاحة بالحكومة السوريّة بموجب المادة ٨ من قانون مكافحة الإرهاب السوريّ الصادر عام ٢٠١٢، وتأتي هذه الاتهامات على خلفيّة نشاطاته السلميّة التي تتضمّن العمل على نشر ثقافة التآخي والحوار بين المكوّنات السوريّة، والنضال في سبيل تحصيل حقوق الشعب الآشوريّ في سوريّة ضمن إطار وحدة البلاد أرضاً وشعباً، والسعيّ في سبيل تحقيق التغيير الديمقراطيّ في سوريّة.

ويثير استمرار اعتقال كورية العديد من التساؤلات حول وجود رغبة أو نيّة صادقة لدى الحكومة السوريّة في حلّ سياسيّ من أيّ نوع كان، وتقديم ولو القليل من التنازلات لإيقاف الصراع السوريّ، وقد أصدر المرصد الآشوريّ لحقوق الإنسان بياناً يطالب فيه السلطات السوريّة بالإفراج الفوري عن القياديّ الآشوريّ السوريّ كبرئيل دون قيد أو شرط، كما ويرون في استمرار احتجازه مخالفة صريحة لقرار مجلس الأمن الدوليّ رقم (٢١٣٩) الصادر في شباط ٢٠١٤ الذي يطالب بالإفراج عن جميع المحتجزين تعسفيّاً في سوريّة نتيجة نشاطهم السلميّ أو الصحفيّ أو الإنسانيّ.

وكان اتحاد شبيبة الآشوريّة في السويد قد منح كبرئيل جائزة الرجل الآشوريّ لعام ٢٠١٣ وذلك من خلال اجتماعه السنويّ في مدينة غوتنبرغ السويديّة، وقد جاء هذا التكريم تقديراً لجهوده.

الحريّة لعشاق الحريّة.

نَفْطنا، بيد أكثر من «مافيا»

لماذا يرتفع سعر المازوت في سورية؟ بينما تنخفض أسعاره في العالم إلى النصف؟ فقد ارتفع منذ أيّام سعر المازوت من ٨٠ إلى ١٢٥ ليرة سوريّة، أي بزيادة أكبر من ٥٦٪، وهذه الزيادة سبقتها خلال السنوات الأربع الفائتة قفزات متعاقبة، ففي عام ٢٠١١ كان سعر ليتر المازوت ٧ ليرات سوريّة؛ وحجّة النظام في رفع السعر - حسب ما أورد مسؤولوه على شاشة التلفزيون - القضاء على السوق السوداء.

مـن المـعـلـوم، أنّ الـتـهـريـب والأسـواق السوداء في سورية منذ عشرات السنين – وما زالت – بيد رجال النظام مـن العائلة ومحيطها، وهـم أنفسهم مـن ينجز اليوم صفقات شراء النفط الخام مع «داعش» حيث يشترونه من التنظيم، ثم يبيعونه لشركات أجنبيّة، أو يبيعونه للمصفاتين الرئيسيّتين الباقيتين وهما في حمص وبانياس، واللتان تعملان بـ ١٠ ٪ من طاقتهما فقط، حسب تصريحات سليمان حيّان نائب وزير اقتصاد الأسد.

وتوصف السوق السوداء للنفط في سورية بـ «المزدهرة» وأنّها السبب في اندلاع «احتجاجات ضدّ الفساد في المناطق التي يتمتّع فيها نظام الأسد بتأييد قويّ».

وقد حدث في الفترة الأخيرة أن قام مواطنون في اللاذقيّة باحتجاجات بعد الشحّ الكبير في الوقود، وارتـفـاع أسـعـاره، مثل مختلف أشكال الطاقة عموماً، وقال بعض المواطنين: إنّ رجال مافيا النظام يسيطرون على استلام الوقود من النظام، ويبيعونه مرّة أخرى بالأسعار التي يفرضونها.

مع العلم، أنّ العقوبات المطبّقة على سورية من الدول الغربيّة أو الأمم المتّحدة، لا تشمل منع بيع الوقود من وإلى سورية، بالإضافة إلى «الهدايا» الإيرانيّة من وقود الديزل إلى النظام.

كما يربط مسؤولون رسميّون، نـدرة الوقود وارتفاع أسعاره بعمليّات التهريب إلى لبنان، ويبرّرون قيام النظام برفع الأسعار على أساس أن يحدّ ذلك من التهريب، وما يقال عن المازوت يقال عن البنزين، وكذلك الغاز.

وفي مسألة الكهرباء، قام المواطنون بتدبّر أمورهم عبر ما أسموه «الأمبيرات»

وهـي عمليّة توليد الطاقة الكهربائيّة عبر المولّدات التي تعمل بالمازوت أو البنزين، وتمدّ المنازل بالحدّ الأدنى من الكهرباء مقابل مبالغ أسبوعيّة تصل إلى آلاف الليرات السوريّة؛ لأنّ التيّار النظاميّ قد يأتي لبضع ساعات في الأسبوع، أو لا يأتي!

ويتباهى النظام السوريّ بأنّه يؤمّن الخبز بأسعار مخفّضة في المناطق التي يسيطر عليها، ويمدّها بالمساعدات الدوليّة، لأنّ المسلّحين يمنعونه من إدخالها إلى المناطق الأخرى، كما يدّعي.

الصفقات الحقيقيّة، مَن وكيف وكم؟

لكنّ ما يجري من صفقات في الواقع تُظهر أنّ الموضوع أكبر من ذلك بكثير؛ فهنالك أسواق نشطت محلّيّاً وتقدر بملايين الـدولارات، وهي الصفقات التي تتمّ بين «داعش» ورجال «أعمال» من مافيا النظام، تؤمّن دخلاً لتنظيم «داعش» يزيد عن مليون دولار يوميّاً؛ باعتبار أنّ إنتاج آبار محافظة دير الزور وحدها، والتي تقدّر بالمئات، تنتج ١٣٠ ألف برميل يوميّاً. بحساب بسيط على أساس أقلّ من ١٠ دولار للبرميل الـواحـد، يمكن تصوّر تمويل «داعش» كمّاً، وبالطبع كيفاً!

وفي الواقع أيضاً، تجري عمليّات تكرير بواسطة مـصـاف تـقـوم بعضها بمعالجة ما يصل إلى ألف برميل يوميّاً، وبسعر يزيد بثلاثة أضعاف عن الخام.

هنا، يمكن أن نضيف كم هي أرباح مافيا النظام في حال باع النفط خاماً أم كرّره؟ فهل تصل الأرقام إلى ما يزيد عن ٣ مليون دولار يوميّاً أم لا؟

مع هذا، يرفع النظام السعر على (المواطن) الذي ظلّ لعشرات السنين، لا يجرؤ حتّى على ذكر كلمة النفط السوريّ، أو إلى أين تذهب عائداته؟!

عبد الله منديل

حلب مدينة النساء والعجائز

منذ أن بدأت الثورة، بدأت المدينة تخلو تدريجيّاً من شبابها، فنسبة كبيرة من الشباب إمّا اعتقل أو استشهد، ومنذ أن انقسمت حلب إلى قسمين زادت حدّة "الهجرة الذكوريّة" من قسم إلى آخر، ما لبث ذاك القسم أن أصيب بعدوى تلك "الهجرة" بعد تركّز وانتشار تنظيم "داعش" بشكل واسع فيه، ومع مرور الزمن، وما بين هروب الشباب من الأوضاع المعيشيّة الخانقة من جهة والبطالة القاتلة من جهة أخرى، وبين هروبهم من أداء الخدمة الإلزاميّة، تحوّل بقاء الشباب هنا في هذه المدينة إلى مدعاة للتعجّب. واليوم زاد الأمر سوءاً بعد أن أعلن جيش النظام عن حاجته للاحتياط؛ وهكذا تحوّلت حلب إلى مدينة للنساء والعجائز والأطفال.

ربّما سيبقى هذا الأمر مقبولاً - نوعاً ما - حتّى السنة القادمة، لكنّه لن يكون كذلك أكثر، وسيترك آثاراً سلبيّة جمّة على نواحٍ مختلفة، ولربّما بدأت تلك الآثار في الظهور على السطح منذ الآن، ولكنّها لاتزال غير متفاقمة للحدّ الأسوأ.

فهذا الخلل الحادّ في المجتمع لن يكون بلا آثار حادّة أيضاً، حتماً، بدءاً من الناحية الاجتماعيّة، وانتهاءً بالاقتصاديّة مروراً بالنفسيّة، فمدينة كاملة من النساء لن تكون خالية من المشكلات حتماً!

ولربّما أشدّ النواحي تأثّراً بهذا الخلل هو الناحية الاجتماعيّة بلا شكّ، طالما أنّ التغيير الذي حدث ويحدث هو تغيير طال المجتمع بحدّ ذاته، إضافة إلى أنّ هذا التغيير لم يحدث بشكل تدريجيّ أو أخذ الوقت الكامل له، بل حدث بشكل سريع ومفاجئ دون أيّة تدرّجات، عوضاً عن أنّ حدوث هذا التغيير كان في وقت شديد الحرج، فالمجتمع الحلبيّ كان يمرّ بأزمات حادّة أخطرها: تقسيم هذا المجتمع إلى مجتمعين واجتياح الإرهاب بشكليه "الداعشيّ" والنظاميّ كلّ على حدة، إضافة إلى انتشار السلاح بشكل مخيف بين أبنائه، عداك عن توقّف المؤسّسات التعليميّة عن أداء عملها واستمرارها شكليّاً وظاهريّاً لا غير، وغيرها من المشكلات الاجتماعيّة المختلفة التي تتركها الحرب.

ولربّما الأمر لن يتوقّف هنا، فنتيجة لهذه "الهجرة الذكوريّة" نلاحظ بدء هجرة الإناث الشابّات منها أيضاً، ففعليّاً ما من شيء بقي هنا في هذه المدينة، حتّى الزواج بات شيئاً بعيد المنال، إضافة إلى البطالة وعدم توافر فرص العمل، وإن وجدت فهي بأجور أدنى من المطلوب والمناسب لظروف المعيشة المرتفعة جدّاً، وهكذا يمكننا أن نتنبّأ بأنّ حلب ستتحوّل إلى مدينة للعجائز، فقط، في غضون سنوات قليلة إن بقي الحال على ما هو عليه الآن، أو إن أصبح أسوأ.

ويمكننا أن نتنبّأ بمشاكل اجتماعيّة أخرى قد تلوح في الأفق، كتوقّع انتشار تعدّد الزوجات بشكل كبير، إضافة إلى انتشار الزواج العرفيّ أو المتعة أو غيرها، عدا عن زواج القاصرات وتباعد فرق العمر بين الزوجين وغيرها من المشكلات الاجتماعيّة التي من شأنها أن تجرّ المجتمع إلى مزيد ومزيد من الجهل والتخلّف والظلام.

وعلى الرغم من أنّ الناحية الاجتماعيّة هي أشدّ ما سيتأثّر بهذا التغيير، وبوسعنا القول إنّ حالات النفي غير المباشرة هذه التي تطال الذكور من المجتمع، لا بدّ أن تترك آثارها السلبيّة على نفسيّة الشباب المهاجرين وأهاليهم المتروكين هنا؛ فالإحباط واليأس والاكتئاب أشدّ الآثار النفسيّة وضوحاً على كلا الجانبين، فالشابّ المهاجر سيضطرّ إلى العمل خارجاً بأجور منخفضة وساعات كثيرة، وقد يرضى أن يكون موضعاً للاستغلال، أو العمل ضمن شروط عمل غير أخلاقيّة وغير مناسبة مقابل القليل ممّا يسدّ حاجته، وهو مجبر على الخروج من هذه المدينة وإلّا سيكون مشروع قتيل أو مشروع معتقل في غضون أشهر قليلة، وهل بوسعنا أن نتخيّل الأمّ والأبّ والأخوة والحبيبة وغيرهم من المتروكين هنا؟ فهذه "الهجرة" تُشيع جوّاً من مشاعر الخوف والحزن والخوف من الفقد، فتتحوّل تلك المشاعر من مشاعر نفسيّة فرديّة إلى ظاهرة نفسيّة اجتماعيّة.

ورغم أنّ هذا الأمر له آثاره الكبيرة على الناحية الاقتصاديّة، إلاّ أنّنا لن نوردها هنا، وذلك بسبب انهيار الاقتصاد شبه الكامل في سورية، وربّما تكون هذه الظاهرة أكثر بروزاً في مدينة حلب إلّا أنّ ذلك لا يعني أنّ المدن الأخرى لا تعاني منها، ولكنّها فقط أكثر حدّة هنا.

ويمكننا الآن أن نتخيّل سورية بعد مدّة من الزمن - إن استمرّ الحال على ما هو عليه الآن - على أنّها بلد العجائز، ولكنّها لن تقتصر على ذلك، بل ستتحوّل إلى بلد للقتلة والمجرمين.

ريم الحاج

شيماء الصبّاغ السوريّة ..

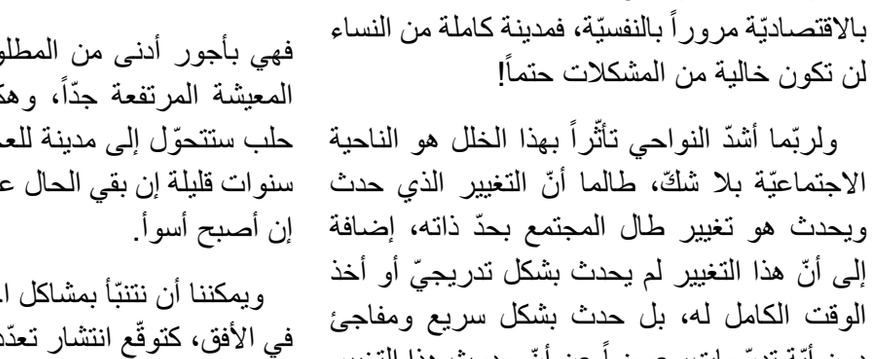

مهما حاولت أن تتجاهل ملامحها في تلك اللحظات الأخيرة من حياتها، كما فعل المارّون من قربها حين سقطت، لن تتمكّن من ذلك، فذاك الوجه النازف حين تهاوى جسدها، واليدان اللتان تحاول حضنها في محاولة لمنعها من السقوط، كلّ ذلك سيحاصرك في مشهد خالد حول استشهاد الفكر الحرّ الأعزل أمام عنف العسكر وسلاحه.

شيماء الصبّاغ التي سقطت جرّاء إصابتها برصاص مطّاطي في الرأس من قبل رجال الداخليّة في يوم الاعتصام بالورود لتكريم شهداء ثورة مصر، قد يقول القارئ «ما عاد يستوقفني مثل هذا السقوط، إنّ السقوط المدنيّ الجماعيّ في سورية تحت وطأة القصف الممنهج فاق المعقول ولبّد الإحساس في قلوبنا، كيف تريدين أن أتعاطف مع هذا الحدث الفرديّ؟»

غير أنّك يا صديقي حين تمعن النظر في سقوط شيماء السلميّ الشامخ، ذاك التهاوي دون الانحناء، ستعود أيّها السوريّ الغارق بالدماء حتّى أذنيك إلى لحظات مشابهة، لابدّ أنّك خضّت مثلها، أو أنّك تابعتها بشغف حين كانت الكلمة تجابه السلاح، قبل أن يتمّ الالتفاف على صدقها من قبل السلطة، والمتاجرة بأحلامها من قبل الساسة، وشرذمتها بالعنف المضادّ، ولست هنا في معرض الحديث عن تحوّلات الثورة السوريّة، فسقوط شيماء التراجيديّ أعادني بالذاكرة إلى إحدى المظاهرات الجامعيّة في حلب، بل إلى مشهد من تلك المظاهرة، حيث أُصيبت فتاة جامعيّة بطلق ناريّ وكانت تسير في الشارع حاملة عينها المصابة بيدها، نعم صدّقني كانت تحمل عينها، وحاولتْ أن تستنجد بصاحب إحدى المحلّات غير أنّه أغلق باب المحلّ بوجهها وكأنّ الإنسانيّة تلاشت من روحه.

المجنّدون يكتسحون الشارع باعتقالات عشوائيّة، الرصاص لا يهدأ، والمارّون يتجاهلون ما يحدث وكأنّهم من كوكب آخر .. تماماً كما حدث في الأمس مع شيماء المصريّة كانت دماؤنا رخيصة وأحلامنا الكبرى في العدالة والحريّة والكرامة لم تصل إلى قلوبهم، فكيف بعقولهم؟

لم تصل إليهم حتّى وصلنا إلى أيّامنا الدمويّة هذه، حيث غدت الأرواح تزهق بالكمّ لا الكيف، وما سقوط شيماء إلّا دليل على أنّ الكلمة خالدة في نضالها، ولا يجب أن ننسى شهداءنا، أولئك الذين ماتوا بشرف أعزل أمام وحشيّة السلطة وسلاحها الغادر، إنّ من يقصف اليوم ربّما يجد لنفسه تبريراً بأنّه يحارب أوكار الإرهاب، بحسب البرمجة العقليّة التي مورست لتعديل مبادئه وتخدير ضميره، لكن ما هو التبرير الذي يدفع ذاك المجنّد بدم بارد إلى ضغط الزناد ليوجّه رصاصة في قلب ثائر يجابهه بالصوت والكلمة؟ هي أسئلة لطالما أرّقتنا، حول المارّة العابثين بقيمة أرواحنا، نحن من نحلم بأن نشاركهم بوطن أفضل، وذاك المجنّد الذي يقتلنا بدم بارد في الوقت الذي نأمل أن ينتمي إلينا ويكون حمايتنا، هل يكفي أن يكون القانون المحميّ بسلطة السلاح هو الجامع بين الشعب؟

يحدّد لهم حقوقهم، وما لهم وما عليهم لنعيش بعزلة، لا يهمّنا ما يصيب غيرنا، لكنّنا تحت مسمّى الوطن الواحد، أم أنّ الإنسانيّة يجب أن تتفوّق على القانون في معيار المواطنة والانتماء؟

وبمعنى آخر، هل تنتمي - يا شريكي في الوطن - إلى دمّي، أم تنتمي إلى أرضي؟ تأكّد حين تنتمي إلى أرضي، فإنّنا سنكون في حالة نزاع دائم، وإن مرّ ذاك النزاع بسبات طويل سوف يصحو على أوّل خلاف دينيّ أو قوميّ لتنشب الحرب بيننا تماماً، كالحرب التي نحيا في دائرتها اليوم، ندفع الثمن باهظاً لتحقيق مطامع من يشتهي السلطة ومن تاجر بثورتنا، غير أنّك إذا انتميت إلى دمي فسنكون سويّة أصحاب الثورة وأصحاب الحقّ وأصحاب العيش المشترك في وطننا المشتهى، ولن يفرّقنا شيء.

ربّما يكون الأوان قد فات، لكنّي حتّى آخر رمق سأطلب منك أن تفكّر بما فعلناه سويّة، فكّر بدمي ودمك، بدماء من سقطوا بشرف، وبدماء من سقطوا ظلماً، لنبني مجدّداً من أشلاء حلمنا الذي مزّقته الحرب، وتعنّت الكثيرين وتلبّدهم بلداً يجمعنا برابط الإنسانيّة.

ميّ الفارس

فلنُبحر..

هل تملّكتك الرغبة يوماً ما في زيارة بلدٍ ما والتعرّف على حضارات مختلفة ووجهات نظر مغايرة لما تعرفه؟

ربّما يصعب علينا أن نجوب العالم، ونذهب هنا وهناك لنستكشف ما تُخفيه هذه الأرض، ولكن هناك طريقة تمكّننا من هذا التجوال، إنّها القراءة؛ فأن تفتح كتاباً، هذا يعني أنّك مُقبل على عالم كامل بلا شكّ، عالم جديد كنت تجهل الكثير والكثير عنّه، فمن يقرأ يكون قادراً على أن يزور بقاع الأرض جميعها. لا بل، يستطيع أيضاً أن يخترق الزمن فيعود للتاريخ ويُمحّصه، أو يذهب للمستقبل ويرى ما يُمكن أن تؤول إليه حياته.

القراءة تُغني أرواحنا، فمن يقرأ يجد نفسه قادراً على فهم ذاته بشكلٍ أفضل وفهم احتياجاته ورغباته، فكثيراً ما نظنُّ أنّ الكاتب يتحدّث عنّا ونقول: يا له من عبقريّ كيف استطاع أن يعرف ما بي ويصف حالتي في الوقت الذي عجزت أنا عن وصفها؟ وستجعلك تفهم مَن حولك بشكل أكبر وبوعيٍ أكبر، فهنالك الروايات التي تحلّل لك الشخصيّات وتعطيك التصرّفات والدوافع التي أدّت إليها وتصف لك العلاقات بين البشر على حقيقتها، وكُتب الرأي التي تستعرض لك الآراء المختلفة، فتجد كم كنت صغيراً وجاهلاً قبلها! وكم امتلكت من علم بعدها، فترى نفسك عالماً بما كنتَ به جاهلاً.

ككتاب "حيونة الإنسان" للكاتب "ممدوح عدوان" الذي يتكلّم فيه عن تلك العلاقة الوحشيّة التي تنشأ بين البشر وتحيلهم لوحوش حيوانيّة، فيستعرض الأسباب والمسوّغات التي تدفع وتسمح لنفس المجرم التصرّف بشكل حيوانيّ، وكما يتكلّم عن طبيعة الضحيّة وتأثير هذه العلاقة الحيوانيّة عليه أيضاً، وكيف تحيله لشخصٍ آخر مع مرور الزمن، وغالباً ما يكون الجلّاد هو ابن النظام المستبدّ الذي يسعى ويخطّط لهذه العلاقة الحيوانيّة الشبه مدروسة، والضحيّة هو ابن عامّة الشعب، ممثّلاً بدوره السوّاد الأعظم من الشعب.

وكتاب "التخلّف الاجتماعيّ، سيكلوجيّة الإنسان المقهور" للكاتب والباحث مصطفى حجازي، الذي يتكلّم به عن البنيّة النفسيّة للإنسان في بلدان العالم الثالث عموماً (وبلدان المنطقة ولبنان على وجه الخصوص) ذات البيئة المتخلّفة اجتماعيّاً، فيشرح العديد من التصرّفات التي قد تبدو غير مقبولة منطقيّاً ولكن تركيبة الإنسان المتخلّف تدفعه للقيام بها، فيشرح مدى تأثير الاضطهاد النفسيّ والاجتماعيّ الذي تمارسه الأنظمة وكمّ الخوف والرعب الذي تزرعه في نفوس مواطنيها، التي سيكون لها الدور الأكبر في آليّة تحوّل الإنسان لكائن غير طبيعيّ وبالأخصّ في حال وجوده في بيئة اجتماعيّة متخلّفة ذات مستوٍ ثقافيّ متدنٍّ، فمن يقرأ هذا الكتاب يستطيع الإجابة على الكثير من الأسئلة التي تراودنا عن تصرّفات وأفعال لا نفهم لها سبباً ظاهراً وواضحاً ونراها منتشرة بكثرة في أيّامنا هذه.

أردت استعراض بعض الأمثلة عن الكتب لإظهار مكانتها في هذا الوقت الذي نمرّ فيه،

فلطالما ارتبط تطوّر البلدان وازدهارها بمعدّلات القراءة فيها، فنجد بلدان العالم الأوّل تحظى بأعلى نسب من القراءة، وبلدان العالم الثالث تكاد تكون النسب فيها معدومة.

أحياناً تعاني القراءة من مشكلة ما، كأن يكون من يقرأ جاهلاً بوجود كتاب وفكر غير الذي يقرؤه، فنجد هكذا أشخاص يتبنّون أيّة فكرة يقرؤونها ويصدّقونها تصديقاً أعمى، دون أن يضعوا بين أعينهم احتمال أن تكون الفكرة غير صحيحة، أو أنّ هناك ما يناقضها وأحياناً يدحضها، لذا علينا أيضاً عندما نقرأ ألّا نُسلّم تسليم الأعمى لكلّ ما تقع أبصارنا عليه.

فالقراءة تُشذّب الشخصيّات وتعطيها بعداً حقيقيّاً، فنجد الشخص المثقّف أكثر رحابة صدر في تقبّل الآخرين وأكثر منطقيّة في التعامل مع الحياة عامّة، وليس كالقشّة داخل البحر تأخذه الأمواج المتلاطمة وتعيده.

بالتأكيد، هناك من مُدعيّ الثقافة الكثير، أولئك الذين يقرؤون ولكنّهم كالأجهزة الإلكترونيّة يحفظون ما يقرؤون، دون أن تنصهر الثقافة فيهم وفي يوميّاتهم، يسعون فقط للمكانة الاجتماعيّة، ولقب المثقّف ولكنّهم فارغو المضمون.

نعم، لقد عملوا على تجهيلنا كثيراً، ولكن نحن أيضاً من ساعدناهم على ذلك، فلا أحد يمنعك من أن تقرأ كتاباً، أكان في الأدب أم التاريخ أم كتاباً علميّاً، فلتتخيّل فقط عالماً وعلوماً كثيرة في متناول يديك.

ما أبخلنا! حين نُضيّع هكذا فرصة من المعرفة على أنفسنا.

سارة عزّ

«داعش وأخواتها» وأصول الاقتباس

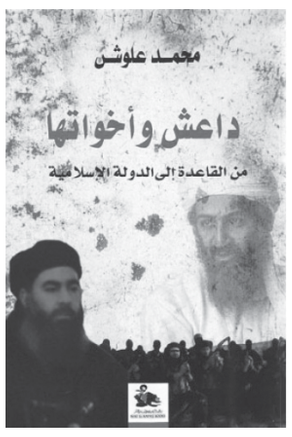

صدر مؤخّراً عن دار الريّس للكتب والنشر كتاب «داعش وأخواتها»، تأليف الكاتب والصحفيّ محمّد علّوش، وهو كتاب من القطع المتوسّط والذي يمتدّ على حوالي ٤٠٠ صفحة.

العنوان الفرعيّ للكتاب «من القاعدة إلى الدولة الإسلاميّة»، وهو يشير بطبيعة الحال إلى المادّة التي يسعى الكاتب إلى تقديمها لقرّائه، وهي محاولة منه في مقاربة تنظيم الدولة الإسلاميّة المعروف بـ «داعش» وتوضيح سياقات تكوّنه والخلفيّات التاريخيّة لبروز هذا التنظيم، الذي تمكّن وخلال فترة زمنيّة قياسيّة نسبيّاً من فرض نفسه لاعباً مهمّاً في المشهد السوريّ وقبله العراقيّ.

يتألّف الكتاب من ستّة أبواب والعديد من الفصول، يقدّم من خلالها علّوش كمّاً كبيراً من المعلومات حول نشأة تنظيم «داعش»، وخلفيّته الفكريّة، أهمّ منظّري التيّارات الجهاديّة في العالم، وأهمّ النقاط المركزيّة التي تجمع فيما بينها، ويسعى فيما بعد إلى تسليط الضوء على الحدّ الفاصل بين تنظيم القاعدة العالميّ، وبين تنظيم «داعش» الذي خرج من عباءته.

يسعى علّوش إلى مقاربة تنظيم «داعش» متمسّكاً بقدر من الموضوعيّة، إلّا أنّه ما إن يباشر في تحليل هذا التنظيم حتّى تسقط حياديّته، وينكشف موقفه السياسيّ عبر تحديده للعوامل والأسباب التي أدّت إلى بروز التيّارات الجهاديّة على سطح المشهد السوريّ.

يقول علّوش «كان فكر القاعدة ينتشر في بيئات اجتماعيّة محدّدة، ويعاني عزلة تامّة.. إلى أن جاء الربيع العربيّ، فأحدث تحوّلاً لمصلحة تنظيم القاعدة وأفكاره لم يكن في الحسبان» ص ٩٩، ويشرح الأسباب التي تقف خلف هذا التحوّل فيقول «إنّ تنظيم القاعدة استغلّ حالة الإرباك وموجة الاحتجاجات التي هزّت العالم العربيّ للتغلغل في النسيج المجتمعيّ لهذه الدول، فالفراغ الذي خلّفته الأنظمة السابقة إلى جانب تفكّك أجهزة الأمن، وفشل معظم الانتفاضات العربيّة في وضع خريطة طريق لمستقبلها السياسيّ» كلّ هذا أدّى إلى تمدّد الفكر القاعديّ وانتشاره في أغلب دول العالم العربيّ ولا سيّما في تلك التي ضربتها الثورات.

لا إشارة لدى علّوش إلى طبيعة «النظم السابقة» التي حكمت بلدان الربيع العربيّ، ولا إلى الدور الذي لعبته في إنهاك ثورات الربيع العربيّ، واستهداف قواه المدنيّة، ولا مقاربة ولو حتّى خجولة إلى دور «الأجهزة الأمنيّة» التي أحصت على الناس أنفاسها وفتكت بأغلب القوى السياسيّة التي شكّلت خطراً على أمن «أنظمتها السابقة» لا إشارة لدى علّوش سوى إلى ما فتحته الثورات العربيّة من أبواب على الجحيم كانت لربّما بقيت مغلقة ببقاء الأنظمة العربيّة «السابقة» حارسة الأمن والأمان في مجتمعاتها وفق منطوق علّوش المبطّن في نصّه السابق؛ فالربيع العربيّ لم يفعل وفق علّوش سوى أنّه قدّم فرصة جديدة لإعادة إحياء تنظيم القاعدة، وهو كتحصيل حاصل يجعل من الربيع العربيّ علّة تمدّد فكر القاعدة وأخواتها.

لا أسباب أخرى يراها علّوش تكمن خلف تمدّد الجهاديّات بكلّ الأصناف والألوان سوى ثورات الشعوب المقهورة، ولا يرى الدور المحوريّ الذي لعبه على وجه التحديد نظام الأسد في إنعاش هذه التيّارات تحديداً فيما يخصّ الوضع السوريّ، إذ لا يرى علّوش أنّ القمع المنفلت من أيّ عقال مارسته قوّات الأسد على القوى السوريّة المنتفضة كان عاملاً حاسماً في توفير مناخ من الغضب والكراهيّة والرغبة بالثأر كانت في مجملها تشكّل مناخاً غنيّاً لا لإنعاش فقط التيارات الجهاديّة، بل لإنعاش التطرّف من كلّ حدب وصوب.

كما يعجز علّوش عن تحديد الديناميّات المختلفة التي ساهمت في تفكيك بنية المجتمع السوريّ وأعادت بنائه وفق منظور ما قبل وطنيّ، جعلته غير محصّن حيال الانخراط في أشكال من الصراعات الاجتماعيّة القذرة كالصراعات الطائفيّة وما يشبهها.

ويتجاهل علّوش عن قصد ممارسات نظام الأسد في العقود السابقة ويتناسى أنّه هو ولا أحد سواه مَن بنى آلاف المساجد منذ مطلع السبعينيّات وحتّى اليوم وأغلق في المقابل آلاف المنابر الديموقراطيّة الحرّة، ونظام الأسد هو الذي موّل ودعم افتتاح المئات من معاهد تحفيظ القرآن، ومنع في المقابل تداول كتاب معرفيّ واحد يستحقّ اسمه، ونظام الأسد هو الذي استقطب آلاف الجهاديّين وأرسلهم في طول البلاد وعرضها، وفي المقابل اعتقل خيرة رجالات سوريّة من التقدميّين والديمقراطيّين، وهو بكلّ ذلك كان يساهم - عن سابق تصميم وإصرار - في خلق خصم يسهل عليه التعامل معه، فخصم نظام الأسد الحقيقيّ لم يكن بحال من الأحوال تنظيم «داعش» بقدر ما كان خصمه هو القوى حاملة المشروع الديمقراطيّ نقيض نظام الأسد الاستبداديّ.

يفتقر كتاب علّوش إلى التحليل المنهجيّ، ويكتفي الباحث في إيراد العشرات والعشرات من المعلومات والتفاصيل، وهو شيء جيّد ومطلوب لولا أنّ فصولاً بكاملها من الكتاب يوردها الباحث وهي مأخوذة من مصادر مختلفة، منها ما هو جدير بالثقة ومنها ما لا يقترب من المرجع العلميّ، كالاعتماد على تصريحات المدعو «أبو أحمد» ونقل كلامه حرفيّاً باعتباره مصدراً للثقة، وليست المشكلة هنا فقط في شرعيّة المراجع المعتمدة، بل في عدم اعتماد الباحث للأسلوب العلميّ في الاقتباس، فيواجه القارئ فصولاً بأكملها لا توجد إشارة فيها سوى أنّها من كتابة الباحث، ليتفاجأ القارئ فيما بعد بأنّ هذه الفصول والتي تمتدّ على صفحات وصفحات هي مجرّد اقتباسات من مراجع مختلفة، من دون العثور على أهلّة أو إشارات تفصل المقتبس عن مادّة الباحث، وهو أمر معيب على صعيد العمل العلميّ، فهو شيء يقترب من السرقة إذا لم نقل أنّه سرقة، بيد أنّها سرقة معرفيّة.

صبر درويش

إلّا الجهل والتكفير والنفاق

نظّمت تجمّعات جماهيريّة، مظاهرات غضب، ضدّ ما سمّي بـ(الاستهزاء) بالرسول عليه الصلاة والسلام، وكان العنوان الأساس لها «إلّا رسول الله» ويقصد بذلك الرسول محمّد صلى الله عليه وسلم. نظّمت هذه المظاهرات في العديد من الدول العربيّة والإسلاميّة، بعد إصرار من الصحافة الغربيّة على إعادة نشر كاريكاتيرات، اعتبرها كثيرون مسيئة بحقّ الرسول محمّد، في حين اعتبر صحافيّو الغرب هذا التكرار بالنشر حقّهم بحرّيّة التعبير التي تكفلها لهم قوانين بلادهم، والتي تحمل قدسيّة اجتماعيّة، في البيئة الفكريّة التي يعيشون فيها، عقب جريمة اغتيال رسّامي كاريكاتير في مقرّ جريدتهم بالعاصمة الفرنسيّة باريس في بدايات العام الجاري، واعتبر هذا الرّد تعاضداً مع الرسّامين المجني عليهم في «شارل إيبدو».

إنّ المتابع لشؤون الدول العربيّة والإسلاميّة، ودول الجوار السوريّ على وجه الخصوص، حيث تقع أكبر كارثة في القرن الواحد والعشرين، جرّاء تشريد ما يزيد عن سبعة ملايين مواطن سوريّ، من مناطق النزاع في الأراضي السوريّة، بعد دخول الثورة السوريّة مرحلة الصراع العسكريّ، يجد أنّ التعاطف الجماهيريّ، مع الكارثة الإنسانيّة السوريّة لا يذكر على الإطلاق، بل وعلى العكس، نجد الكارثة وتبعاتها تأخذ تصوّرات وممارسات يبغضها الله، ويبغضها رسوله، بل ويلاحظ تنامي عنصريّة بغيضة تُمارس بحقّ النازحين والهاربين من لظى الحرب، ونجد الاستعلاء ورفع الأسعار، بل وحتّى الاستعباد، وارتفاع وتيرة الادّعاءات بخصوص رفع المعاناة عن الشعوب المستضيفة، التي تنهكها أصلاً أنظمة فاسدة وجائرة، وكلّ ما سبق يمارس بحقّ من انقطعت بهم السُبل وتركوا وراءهم كلّ ما يملكون، من الأشقّاء السابقين.

لسنا هنا بصدد الدفاع عن حرّيّة تعبير نجدها مقزّزة، ولا حتّى أن نعرّف القرّاء بأسلوب الرّد على تلك الحرّيّة المفرطة والانتقائيّة. فمن وجهة نظر إسلاميّة بحتة، مثل هذه الاعتداءات مدانة صراحة، في الفكر الإسلاميّ السليم، ومن السهولة بمكان الردّ على مثيلاتها من السنّة النبويّة في التاريخ المكتوب للرسول محمّد عليه الصلاة والسلام، حيث مورس ضدّ الرسول الأكرم، شتّى أنواع الافتراء والاتّهامات الباطلة والكاذبة، وهذا له أهل اختصاص، ينبغي عليهم، وحسب اختصاصاتهم أن لا يتركوا الجماهير في هذه الحالة من الهيجان غير المجدي، والذي يشوبه الكثير من المقارنات التي تدلّ على أولويّات خاطئة، إن لم نقل إنّها تدلّ على نفاق، والعياذ بالله. ولكنّنا هنا نجد أنّه حقّ علينا أن ندلّ القرّاء على كيف أنّه يمكن استثارة كثير من الغاضبين عاطفيّاً، ورفع انفعالاتهم لتقدّم صورة خاطئة عن الإسلام كمنهجيّة، وعن المأزق الذي تضعنا فيه الأنظمة الحاكمة الفاسدة بتبرير أدائها الجرميّ والعنيف بحقّ شعوبها (البدائيّة والبربريّة) اتجاه أيّة حالة انفلات، من الممكن أن تهدّد أمن الآخرين، وأنّه ينبغي للآخرين (الذين يؤيّدون حصول هؤلاء المتوحّشين على الحرّيّة) تفهّم تلك الوحشيّة التي تمارس بحقّ المندفعين المنفعلين لو وصلوا لدفّة السلطة، ولو بطريقة ديموقراطيّة، كما هي حالة الثورة السوريّة التائقة للانعتاق من عصابة الأسد الإجراميّة.

بداية وبشكل عام، نحبّ الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا لا يحتاج لأن يظهر على شكل مظاهرات احتجاج ينظّمها أناس لا يهمهم ما يحدث لشؤون المسلمين والمظلومين خصوصاً لدى الدول الجيران، بل، ونجد العديدين ممن خرجوا، لو سألتهم عن الشأن السوريّ وأردت انتقاد طاغية دمشق، ولو تلميحاً في حوار معهم، لوجدتهم من السبّاقين بتحييد أبناء جلدتهم عن أن يهتموا بشؤون إخوانهم من المقهورين، لأنّ ما يحدث ببلاد الشام هو مجرّد فتنة، بعد أن اختلطت الأوراق، كما سيدّعون، مع غياب شبه كامل عن مناصرة الثورة السوريّة منذ بدايتها.

إلى الذين خرجوا بمسيرات من الدول العربيّة والإسلاميّة على وجه الخصوص، نصرة للرسول الأكرم، هل تعلمون أنّه من لم يهتمّ لأمر من أمور المسلمين فهو ليس منهم! كم مرّة خرجتم نصرة لمجازر الأطفال؟! كم مرّة خرجتم استنكاراً لما يحدث من فظائع مع إخوتنا الأحرار في سجون عصابة الأسد المجرم؟ كم مرّة عبّرتم عن غيرتكم على إخوانكم في سورية والعراق وفلسطين؟! وحتّى في بورما وأندونيسيا والصين؟

هل حبّ الرسول عليه الصلاة والسلام هذا ظهر بأسلوبكم بالتعامل مع الضعفاء؟ هل هذا ظهر بالابتعاد عن النفاق للأقوياء، والمستحكمين برقاب العباد والقتلة والطغاة؟ هل تعتقدون حقّاً أنّ الرسول الأكرم سيرضى عنكم لأنّكم غضبتم لاستفزاز رسّامين، أعتبرهم شخصيّاً من السفهاء! ولكنّكم لم تغضبوا ولم تتصرّفوا ولم تنزلوا للميدان كي تعبّروا عن مقتل الأطفال والنساء والشيوخ بالكيمياويّ وبالصواريخ البالستيّة؟ هل تعتقدون أنّه سيرضى عنكم لأنّكم تصلّون عليه فقط لفظاً بالأوراد، وتنسون فعلاً كلّ سُننه بالتعاضدّ ضدّ القتلة والمجرمين والأوغاد، ولو ببعض الصدقة وبعض الدعاء؟ وتكتفون بأنّكم لم تفهموا بعد، لماذا يعتبر الآخرين ضحايانا مجرّد رقم بارد من الأعداد؟ إن كان حبّ الرسول عليه الصلاة والسلام لديك مجرّد فزعة ونخوة تقوم بها ضدّ المستهزئين به، فلا تفعل، فقد كفاه الله أحقاد واستهزاء المستهزئين، في محكم التنزيل. وبقيت أنت، ومن هم سواك مجرّد كتلة من الأرقام، لا تقدّم ولا تؤخّر في متوالية الصياح بلا طائل، فدع عنك هذا التصنّع والعناء، لو كنت حيّاً لحرّكتك الآلام والدماء، وكلّ هذا المستنقع من الظلم والطغاة.

لا ينبغي أن نفوّت الجموع الغاضبة عن سؤال لماذا كان الشعار فقط «إلّا رسول الله»؟ وكأنّ المسلمين لا يعنيهم من الرسل إلّا نبيّ الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام! أوليس الرسل لدينا كلّهم خرجوا من مشكاة واحدة، وكلّهم لدينا سواء؟ لماذا هذا التفريق الذي يُظهر عجزاً حتّى عن اتّخاذ شعار عميق يرسل رسالة للآخرين، مفادها أنّنا كلّنا سواء من حيث أنّ التعبير وحرّيّته ينبغي أن يكون لها توصيف، والقفز فوقها له محاذير.

ثمّ لماذا لم نسمع لهؤلاء الغاضبين صوتاً ضدّ إجرام طغاة حاقدين، خرجوا باسم الدين الإسلاميّ، يُعرفون اليوم باسم «داعش»؟ هل السكوت عن الجرائم التي يرتكبونها هو رضى وتسليم لأفعالهم؟ هل لا زلنا انتقائيّين من حيث توجيه دفّة الغضب والبحث عن الجُناة الذين ينبغي أن نغضب حقّاً من حجم ادّعاءاتهم وكذبهم وقتلهم باسم الله والدين.

يطول الشرح من حيث الفائدة التي كسبها طغاة العرب وحكّامهم، بخصوص مثل هذه المظاهرات التي كان الأولى أن توجّه لهزّ عروش هؤلاء المنتفعين والفاسدين الذين أرهقوا المواطنين ومقدّرات الأوطان بكلّ ذاك السيل من القيود والسجون والمعتقلات والزنازين.

أتوق لليوم الذي لابدّ فيه للأمّة أن تستيقظ من هول الجرائم التي تُرتكب باسمها، وأن تعبّر عن شديد وعي لمثل هذه المصائد، وأن يغرس الناصحون ذوو الوعي والإيمان بذور ثورة حقيقيّة على المجرمين والطغاة والفاسدين في قلوب المواطنين فتسمو هذه الأوطان وتعلو فوق كيد الكائدين.

عبد الكريم أنيس

في الإعادة إفادة

*النقد التاريخيّ

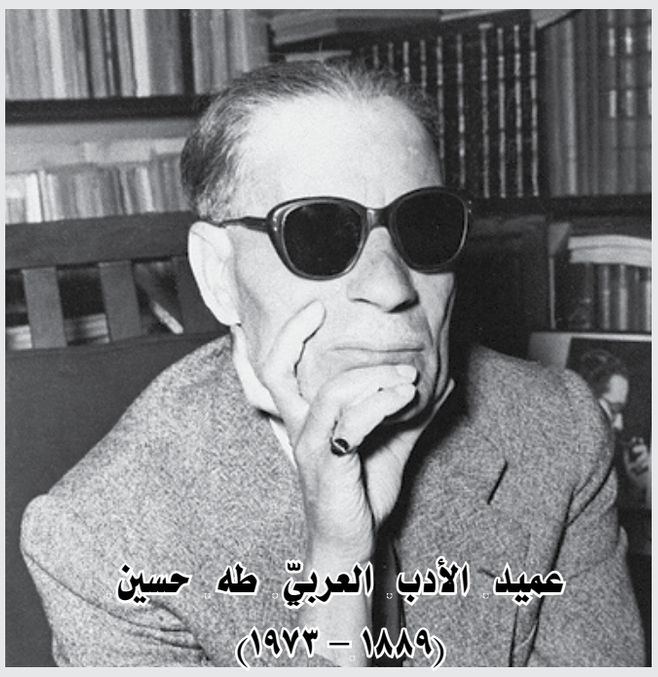

..فأمّا النظر إلى الناس من حيث هم ناس، ووصفهم بما يمكن أن يوصف به الناس، وتحليل أخلاقهم وعاداتهم كما تحلّل أخلاق الناس وعاداتهم، والملاءمة بين هذه الأخلاق والعادات، وما اكتنفها من الظروف والأحوال، فذلك شيء قلّما يفكّر فيه هؤلاء العلماء أو يلتفتون إليه.

ولست أغضّ من هؤلاء العلماء، وإنّما أجلّهم وأكرمهم، وحسبك أن إمامهم في المذهب هو ابن خلدون. ولعلّك تعلم أنّي أجلّ ابن خلدون وأكبره، ولكنّي أخالفهم في الرأي، وأرى أنّ مذهبهم في التاريخ غير مستقيم، وأنّه خليق بأن يتغيّر، وأنّه سيتغيّر بدون شك، بل أنا أرى أكثر من هذا، أرى أنّ هذا المذهب ـــ مذهب تقديس السلف وتنزيهه عن الصغائر، مذهب إسباغ الدين على التاريخ ـــ طور من أطوار التاريخ لا بدّ من أن يمرّ به، بل طور من أطوار الحياة العقليّة والسياسة للناس، لابدّ من أن يمرّوا به، وقد خضعت لهذا الطور أمم أخرى غير العرب.

ذلك أنّ هذه الأمم إذا اضطرّتها ظروف الحياة إلى أن تنزل عن مجدها، وتنحطّ عن مكانتها العالية، فتخضع لخطوب الدهر حيناً، وتنام عن العزّة والسلطان، ثمّ استفاقت من هذا النوم، وتنبّهت بعد الغفلة، وطمحت إلى أن تستردّ المجد القديم، وتستأنف سيرها إلى سبيل العلياء، فأوّل شعور تجده في نفسها إنّما هو الشعور بهذا المجد القديم، والحاجة إلى إجلال أصحابه وإكبارهم واتخاذهم مُثلاً عليا.

فأنت لا تنظر إلى هؤلاء الناس نظراً علميّاً مجرّداً بريئاً، وإنّما تنظر إليهم نظراً مهمّاً، ملؤه الإعجاب والإكبار؛ لأنّك تتأثّر بهم، وتحتذى على مثالهم. وإذن فرأيك فيهم غير صحيح، وحكمك لهم أو عليهم مهمّ، وكيف تستطيع أن تجمع بين الإعجاب الذي لا حدّ له، وبين النقد العلميّ الذي لا يعرف الهوى، ولا يتأثّر بالميول والعواطف! ومن هنا يتأثّر بحثك ونقدك بهذا الإعجاب، وهذا الميل إلى الاحتذاء والتقليد، فتصرف همّتك إلى أن تبرّئ موضع إعجابك من كلّ عيب، وتدفع عنه كلّ مكروه، وتبذل ما تستطيع من قوّة وجهد، لتوجد فنّاً من النقد التاريخيّ له قيمته وخطره.

ولكنّ الغاية التي يسمو إليها ليست علميّة بالمعنى الصحيح، لأنّه يسمو إلى التنزيه والتمجيد، لا إلى التحقيق الذي لا يسمو إلى مدح ولا إلى ذمّ، والذي لا يحفل بحمد أو هجاء.

انظر إلى مقدّمة ابن خلدون، وإلى القسم الأوّل من هذه المقدّمة، انظر بنوع خاصّ إلى منهجه التاريخيّ، وإلى هذا النقد الذي بسّطه ليبيّن أغلاط المؤرّخين وتورّطهم في ضروب من الخطأ في الحكم، تجده قد تصوّر قواعد علميّة لا بأس بها، فهو يكره الغرض والهوى، ويحذّر من أخطار كثيرة تحيط بكاتب التاريخ، ويحبّب إليك، أو يحتّم عليك، تحكيم العقل فيما يروى لك من الحوادث، وهو يصل إلى هذا كلّه إلى استكشاف قوانين قيّمة في النقد التاريخيّ، ولكنّه لا يكاد يعرض لتطبيق هذه القوانين كما يقولون، حتّى يتورّط في مثل ما تورّط فيه المؤرّخون من قبل، لأنّه متأثّر بمجد القدماء، وانحطاط المعاصرين، وفساد أخلاقهم وأحوالهم.

فهو إذا أراد مثلاً أن يصحّح نسب الدولة الإدريسيّة في المغرب الأقصى لم يعمد إلى بحث تاريخيّ، وإنّما استدلّ على صحّة هذا النسب بحديث شريف، فيه أنّ الولد للفراش وللعاهر الحجر، وهو إذا أراد أن يدفع عن الرشيد ما اتّهم به من العبث والمجون، لم يذهب مذهب المؤرّخين في ذلك، وإنّما تحدّث إليك بأنّ الرشيد كان يصلّي مائة ركعة في اليوم، وكان يحجّ سنة ويغزو سنة أخرى، وإذا كان هذا شأنه فليس من الممكن أن يعبث ولا أن يلهو.

ولم يفكّر ابن خلدون في أنّ من حقّ مؤرّخ آخر، أن ينكر عليه أنّ الرشيد كان يصلي مائة ركعة في اليوم، أو أن يزعم له أنّ الرشيد كان يجمع بين الصلاة وبين العبث، ولم يخطر ذلك لابن خلدون، لأنّ ابن خلدون كان يعجب بالرشيد ويُكبره، ويريد أن يضعه هو وأمثاله من الخلفاء موضع القدوة الصالحة والمثل الأعلى...

*من كتاب «حديث الأربعاء» لطه حسين، الجزء الثاني صفحات (٦٤ – ٦٦) طبعة ١٤ – دار المعارف.

أغاني الطغاة

في هدفه الأوّل والأخير لتثبيت سلطته وطغيانه يُفسد الطاغية جميع مناحي الحياة وذلك بتسخيرها لما يخدم سلطته ويرسّخها، فبعد أن يُجيّر الدين والثقافة والسياسة لما يخدم مصالحه يعمل على ترويض الفنّ والفنّانين باعتبارهما الوجه الأبرز للحركة الثقافيّة والأكثر جماهيريّة أثراً وتأثيراً في السواد الأعظم من الناس، في أيّ مجتمع كان؛ فيتمّ وبدراية، ربط كلّ الهيئات التمثيليّة لأيّ فنّ من الفنون إن كان كتابة أو تمثيلاً أو غناء بالأجهزة الأمنيّة التابعة للسلطات ويصبح المعيار الوحيد لمرور أيّة قيمة جماليّة إلى الجمهور على أيّ صعيد كان، ليس ما تتضمّنه من معاني جماليّة ورقيّ فنّي، بل ما تحقّقه من خدمة أهداف الطاغية وتوجّهاته.
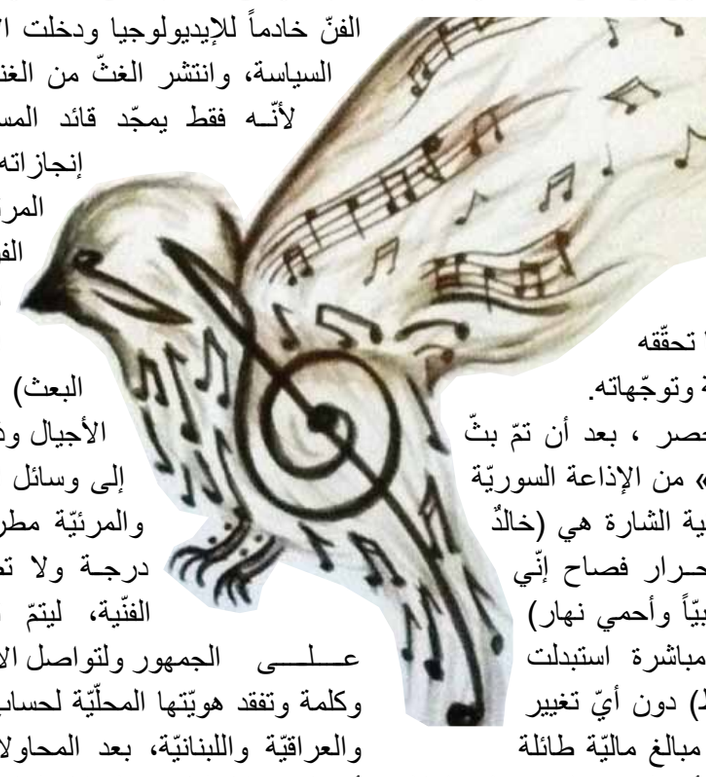
على سبيل المثال لا الحصر ، بعد أن تمّ بثّ مسلسل «خالد بن الوليد» من الإذاعة السوريّة وحينها كانت كلمات أغنية الشارة هي (خالدٌ أحبّ الله والحريّة والأحرار فصاح إنّي حارث أحرث فجراً عربيّاً وأحمي نهار) وبعد انتهاء المسلسل مباشرة استبدلت كلمة خالد لتصبح (حافظ) دون أيّ تغيير في اللحن، وقد رُصدت مبالغ ماليّة طائلة في حينها لمثل هذه الأعمال، وعلى سبيل المثال رُصدت الملايين في حينها لمِا عُرف بسمفونيّة (الربّان والعاصفة) التي كتبها «صفوان بهلوان» وعزفتها الفرقة «الفلهارمونيّة» لجمهوريّة ألمانيا الشرقيّة وقتها بقيادة الموسيقار «نوري الرحيباني» وبعدها عُرضت لمرّة واحدة على شاشة التلفزيون لتختفي بعدها وإلى الأبد!

بالمقابل، فإنّ هنالك أعمالاً موسيقيّة رائدة تستحقّ كلّ الاهتمام لما تحمله من قيم فنيّة مستوحاة من روح المنطقة، لم يُصرف ما يكفي لتسجيلها وإخراجها بما يليق بها لتصل إلى الجمهور، وحتّى إن سجّلت بشكل متواضع فلا يمكن أن تصل إلى الجمهور وتأخذ من الدعاية ما تستحق وذلك لأسباب سياسيّة، ففي كلّ مناسبة سياسيّة أو حزبيّة كانت نقابة الفنّانين تفرض على أغلب المطربين أغانٍ تمجّد القائد وبطولته، عملاً بأعراف قديمة سخّر من خلالها الفنّان فنّه لمدح شيخ القبيلة أو العشيرة من مثل (ودّي المراكب على المينا وقود السفينة يا معلّم) و(زادك الله.. عزّ وقوّة قائدنا.. زادك الله) ومن لا ينفّذ ويمتثل للأوامر يُهمّش مهما كانت إمكانيّاته الفنّية.

هذا الوضع وما تمخّض عنه من تكوين ما يشبه العصابات الفنّيّة، فلكلّ منها مرجعيّته السياسيّة أو الأمنيّة، فتح المجال لظهور مطربين ومطربات ليس لهم أيّة دراية بعلم الموسيقى ولا يملكون أيّة موهبة على صعيد الصوت والأداء، وكذلك الحال بالنسبة لبقيّة أركان الأغنية من كلمة ولحن، وهكذا أصبح الفنّ خادماً للإيديولوجيا ودخلت الأغنية في سراديب السياسة، وانتشر الغثّ من الغناء شكلاً ومضموناً لأنّه فقط يمجّد قائد المسيرة ويتحدّث عن إنجازاته وعطاءاته، وراح المرتزقة على حساب الفنّ يكتبون ويغنّون للمنظّمة التي أطّرت الأطفال (طلائع البعث) ليتمّ تشويه عقول الأجيال وذائقتهم الفنّية وتسلّل إلى وسائل الإعلام المسموعة والمرئيّة مطربون ليس لهم أيّة درجة ولا تصنيف من الناحية الفنّية، ليتمّ تسويقهم وفرضهم على الجمهور ولتواصل الأغنية انحدارها لحناً وكلمة وتفقد هويّتها المحلّيّة لحساب الأغنية المصريّة والعراقيّة واللبنانيّة، بعد المحاولات الجادّة لتأسيس أغنية سوريّة الطابع والهويّة كلمة ولحناً على يد الفنّان «رفيق شكري» في مجموعة من أغانيه (حوّل يا غنام حوّل) و(بالفلا جمّال سارح) وقصيدة دمشق من شعر «سليم الزركلي» وكذلك الفنّان «فهد بلان» صاحب الصوت القويّ (جسّ الطبيب لي نبضي) والفنّانة «مها الجابري» والمطربتين «كروان» و«دلال الشمالي» وغيرهنّ كثيرات، وأصبح الغناء المحلّيّ عبارة عن منوّعات من الأغاني الشعبيّة تخصّ المنطقة التي ينتمي إليها هذا الفنّان أو ذاك، وغابت الأغنية كقيمة جماليّة شكلاً ومضموناً.

وممّا لا شكّ فيه، أنّ ذلك كان له أثر بالغ في تكوين ذائقة المتلقّي، وإذا ما تمعّنا بنوعيّة الأغاني التي كانت منتشرة قبل الثورة نستطيع أن نحكم على ماهيّة التحديث والتطوير الذي كانت السلطة تدّعيه، باعتبار أنّ الأغنية والموسيقى هي الحسّاسة لمقياس مدى تطوّر الشعوب وتقدّمها، استناداً إلى مقولة الحكيم كونفوسيوش (إذا أردت أن تعرف حضارة بلد فاسمع موسيقاه).

أسعد شلاش

«تاريخ الجمجمة»

ولد الشاعر الراحل «عبد اللطيف خطّاب» عام ١٩٥٩ على ضفاف «البليخ» شمال مدينة الرقّة، درس في كليّة الاقتصاد - جامعة حلب، وعُرف في ملتقى شعراء جامعة حلب الشباب أوائل الثمانينات. وتوفّي عام ٢٠٠٦، وترك وراءه مجموعة شعريّة مطبوعة بعنوان «زول أمير شرقيّ» عن دار الريس، ومخطوطات منها «الغرنوق الدنف»، و«سفر الرمل»، و«ترجمان النوم»

«تاريخ الجمجمة»

الذي قال لي:
كيفَ
هي الدولة المقبلة؟ كيف حال الضحايا الأنيقين مثل الجلالةِ؟ أما زالوا
حزانى علينا كالميّتين القدامى؟ أفي الوجوهِ الحديثةِ آثارنا؟ والرمالُ
الأنيقة تسفونا كالرياحِ الخفيفةِ، وَقْعُ أيدينا عليها؟ وَقْعُ أسماعنا
المذأبَهْ،
بغتةً:
استقبلتنا
الجماجمُ، احتفتنا الجحافل مثل السيول التي تذبح الأرض، وأنا الذي
رافقتني الأميراتُ المسنّاتُ، وأنا الذي رافقتني أميراتُ الجماجمِ، وأنا
الذي أصلحتُ وضع الأميرةِ على سدّة العرشِ، وأنا الذي باغتّها ضاحكاً
بالعبارات الرسوليّهْ:
أنتِ
التي لا تنحنين إلّا للفحولةِ، أنت جمجمة نُحْتُ عليها مثل نوحي عليَّ،
أنت التي ساقوك قرباناً على مذبحي، أنت التي ناوشتُني عذاباتي بيدين من
لازورد، أنت التي باركتِ خصب العفونة، أنت التي باركتِ سيفي، أنت التي
بللتِهِ بالدمعِ،
وأنا الذي حرباً على حرب البَسوسِ.

«طغيان رمل الموت»

العلامات الخبيئة، دوّنتها لتمجيد الرمل، لتمجيد ما لم تمجّده النفس،
وأقبعتها الكمائن الكثبانيّة، لشلّ قدرة حبائل الطغيان، لكنّ أحداً منّا ما
كان يعاتب أشباحه، أو يرائي سيادة الآلهة الاصطناعيّة، وما أحد منّا كان
يلوّث الرمل بيديه المائديّتين، غير أنّ التباشير جاءتنا بالإنذارات
التابوتيّة، لحمل الأجنّة على كفّ المواسم.

«الإمبراطور»

سليلو أفاقّين نحن، ونّباشوا موتى.
سليلو أباطرة نحن، وقيآفوا جنون،
أسلاف البربر نحن،
وأخلاف الإسلام،
بدو نحن،
نعاقر شذاذ الموتى، وصحارى الجنّ،
والعرب، الجند ونحن: في ذاكرة الآشور الحبلى بالدّم.
بدو نحن نتباهل والخالق، كي يرسم بالخزف الصينيّ.
وجوه ضحايانا، ويودعها سرّاً - في «اللوح المحفوظ»،
بدو نحن، نرسم في سفو الرمل عمر الليل المكتوم الغيظ،
المذبوح الأنفاس.
ونفاخر:
ها نحن الغرثى في بحّ «الهيكل»،
«... وشال الإرواحيّ عصاه، يتلّقنها السحّار الأبديّ،
يجمجم مذهولاً:
ينمّ شطرنا صوب الوجوه المستفيضة للجلالة،
لوجوهنا تستعمر الصور الرهيفة،
لحاشية الأمير، مقلّداً صوت الحواة،
يداعب السعدان كي يلهي به الساحر،
«والشّعر مثل السّحر يا جمل المحامل،
يهمزه الجيل، ويلفظه الجليل،
وترتوي مثل المنايا قربان قافية،
يرغي بها الجمل الحرون،
وتغور في الأرضين ماءً سلسبيل»،
ينمّ شرطنا صوب العذارى،
صوب نخل الروح،
بنهج الأطياف أطواراً،
فتبتهج الصحابة،
نسيل عنهم أيامنا، أيامهم، صوب حرّ الروح
والسّغب المقيت،
ونخلع النعل العتيق، ونمرّ في الوادي المقدّس،
«غير ذي شجن»،
ونباهل السجّيل في أطوار سينا»...

النقطة كنبراس

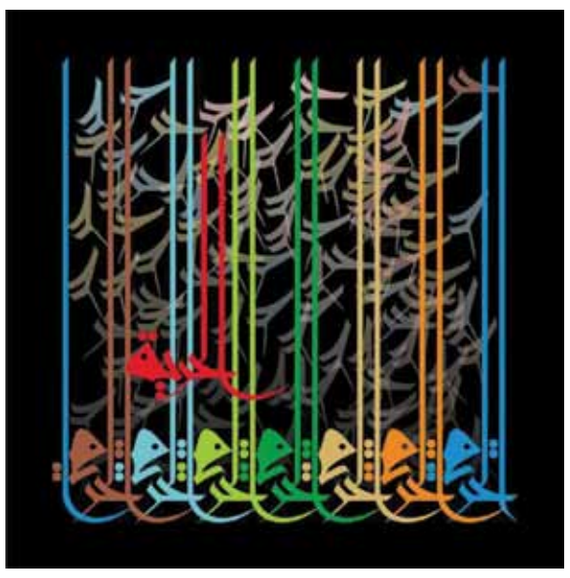

ذلك التكثيف والانتقاء من شكل الحرف اللغويّ في سبيل خلق رسم بلون روحيّ يسمو على الصوت اللسانيّ، بما هو ليس كلاماً لغْويّاً ولا لكنة، لكنّه لُغات لها إيقاعاتها ودوزاناتها كأيّة موسيقى، وكأيّ مشهد بصريّ يمكن أن يستدرج به الإنسانُ الإنسانَ كي يتأوّه حزناً، فرحاً، لذّة، أو ألماً، لا نفهمه قبل أن نحسّ به، هو فنّ الخطّ العربيّ.

«أردت الوصول إلى النقطة فرأيت الخطّ العربيّ قد سبقني إليها» بابلو بيكاسّو قال ذلك، لأنّ «النقطة» عند أكثر العرفاء وحسب لغتهم الرمزيّة كاصطلاح «الخال» الذي هو الوحدة على وجه المعشوق، وهي ذات الحقّ مرتبطة، وغير قابلة للتجزئة؛ من هنا، صارت كمركز وأصل دائرة الوجود لعالمين هما: نفس الإنسان الناطقة وقلبه. لذا قال العارف: إنّ سويداء قلب الإنسان، تجسّد النقطة المركزيّة في وجوده وتصوِّر مرآة الوحدة الحقيقيّة لله.

النقطة، هي البداية والنهاية، المقياس والنسبة، «أنا النقطة تحت الباء» وقال «ما من حرف إلّا وهو اسم من أسماء الله» وهذا لا يتناقض مع شخصيّة كلّ حرف على حدة، فكم من ألف واقفة أو ياء تسبح في مياه، أمّا النون فلها حكاية طويلة وأسرارها تتعلّق بالقلم وما يسطرون.

وفي أصل الخطّ العربيّ الأوّل، قيل بأنّه الخطّ المُسند وسمّي كذلك بالجزم أو القطع، على أنّه قُطع من المسند الحِميريّ، ولا يُختلف على تأثّر أصله بالآراميّ، فكان من نتاج المزج أن ظهر الخطّ النبطيّ نحو ٢٥٠ للميلاد، حين استخدمته ملوك العرب.

ويتّفق كثير من الباحثين على أنّ من الخطوط الدارجة قبيل الإسلام: البصْريّ، الحيري، الأنباريّ الملكيّ، المدنيّ، الكوفيّ؛ وهذا الأخير بقي – بعدما تطوّر كثيراً – إلى يومنا هذا. يُوصف الخطّ الكوفيّ باليابس، ربّما لأنّه هندسيّ، ولكنّه مطواع للزخرفة إذا لقي من يداريه. ولقد صار له في كلّ حقبة ومصر فرع فمنه: الكوفي المملوكيّ والأيّوبيّ والفاطميّ، وكذلك الأندلسيّ، والنيسابوريّ والقيرواني، وكذلك تنوّع فسمّي بحسب شكله المحض كالمورّق النباتيّ والشطرنجيّ والمضفور.

ظهر أسّ الخطّ النسخيّ في العراق، فيما يقارب المائة الثامنة للميلاد، وتطوّر كما الخطوط الأساسيّة أو ما يسمّى بالأقلام الستّة على يد الخطّاط الوزير ابن مُقلة الذي ولد في ٨٨٦ للميلاد وعاش حياة حافلة بالتقلّبات السياسيّة وقُطعت يده لكيلا يكتب، فشدّ عليها القصب وكتب، حتّى قُتل في ٩٤٠ للميلاد، بعد أن وضع قواعداً للخطّ العربيّ مازال منها ما هو معتمد إلى اليوم، وهذه القواعد جعلت الخطّ النسخيّ الأوضح بين إخوته، والمكتمل بالشكل، ليصبح الأكثر استخداماً في كتابة المصاحف والأوردة وغيرها في عهد الخطّاطين العثمانيّين، كالحافظ عثمان (١٦٤٢-١٦٩٨ميلاديّ) الذي جدّد في النسخيّ، حتّى ظهور مدرستين باسم الخطّاط عزّت (١٨٠١- ١٨٧٦ميلاديّ) والخطّاط شوقي (١٨٢٩- ١٨٨٧ميلاديّ) ليصل هذا الخطّ على يد الخطّاط عبدالعزيز الرفاعيّ (١٨٧١-١٩٣٤ميلاديّ) إلى قمّة من قممه.

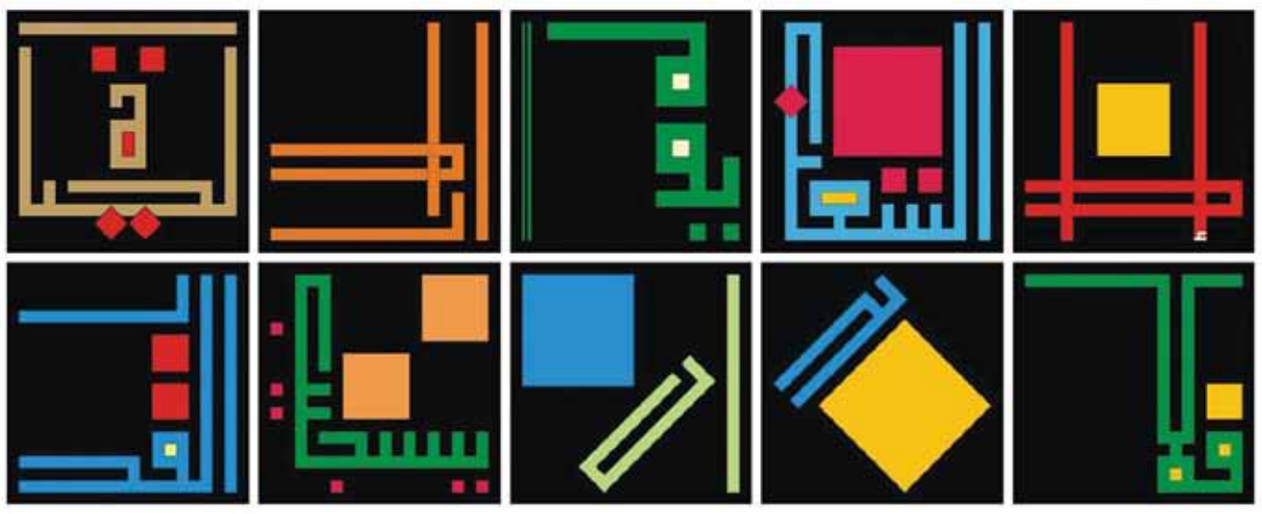

أمّا خطّ الثلث فهو الأجمل والأصعب بين إخوته – برأيّ الكثيرين - إنْ من حيث شكل الحرف أو من حيث التراكيب؛ ونعود هنا إلى الوزير الخطّاط ابن مُقلة الذي وضع قواعد الثلث أيضاً، ثمّ جاء ابن البوّاب ليجمّل ويهذّب، ولكنّ القواعد بقيت كما أرساها ابن مُقلة، حتّى بعد أن خطّ العبقريّ العربيّ حامد الآمديّ (١٨٩١ – ١٩٨٢ للميلاد) أي في قلب القرن العشرين عبر الثلث وأبدع؛ وقد ظهر خطّ مزَج بين الثلث والنسخيّ، وسمّي بخطّ الإجازة أو التوقيع، وهو لمن يتقن كلا الخطّين، ويفكّ أسرارهما.

في فارس، ظهر خطّ التعليق في القرن الثالث عشر الميلاديّ، ويمتاز هذا الخطّ بجماليّة خاصّة لما فيه من رشاقة ولين وامتداد، وهو بلا شكل على حروفه، كما تمنح إمكانيّة الاستدارة والمرونة فيه للخطّاط طواعية أكبر في الرسم، ويقبل الخطّ التعليق (الفارسيّ) الزخرف لاحتوائه على الدائرة وأقواسها، ما يفتح ذلك باباً للخيال. وتُنسب قواعده الأساسيّة من أصول وأبعاد إلى أحد الخطّاطين الفرس المعروف بالتبريزيّ.

وأحد أجمل الخطوط، الخطّ الديوانيّ؛ الذي يقال له أيضاً: السلطانيّ والغزلانيّ، ولكلّ اسم سبب؛ فبعد أن فتح السلطان محمّد القسطنطينيّة عام ١٤٥٣ للميلاد، استعمل هذا الخطّ في دواوين الحكومة، لكتابة أوامره من منح للأوسمة وتوظيف وغيرها، فقيل السلطانيّ والديوانيّ؛ وكان من أشهر خطّاطيه مصطفى غزلان، فسمى الخطّ بالغزلانيّ. كان الديوانيّ سرّاً من أسرار القصر، وكان على صورة معقّدة تتقارب الكلمات فيه جدّاً ولا مكان فارغ يمكن إضافة كلمة أو حرف بين أسطره حرصاً على عدم تبديل الكلمات أو الإضافة إليها في النصوص والأوراق الرسميّة. تشبّه حروفه وتشكيلاته، بحركات الرقص لما تملك من مطواعيّة وحيويّة، وقد تنوّعت المدارس في تطويره وتفريعه فكان منه: الديوانيّ المرسل بمدارسه: البغداديّة والمصريّة والتركيّة؛ والديوانيّ الجليّ الذي يتميّز بالليونة وقابليّة الامتداد والاستطالة، ولإدخال عنصر الزخرف فيه، لذلك يمكن تشكيله بما يريد الخطاط عند وضع رسم بشكلٍ محدّد مسبقاً، فكلّ تلك الخاصّيّات تمكّن من تشكيل الرسم، ويؤدّي الزخرف مهمّة تعبئة باقي الفراغ بكلّ دقّة.

خط الكتابة اليوميّة هو خطّ الرقعة، ويقال بأنّ سبب التسمية هي الرقعة من الجلد، والأخصّ جلود الغزلان التي كانت تستخدم في الكتابة ويقال أيضاً الرقاع؛ وقد استُخدم لتوحيد خطوط الكتابة في معاملات الدولة العثمانيّة، فوضع الخطاط عزّت (سبق ذكره) أُسس كتابة هذا الخطّ، الذي وُجدت له أساليب وعُرف بأسماء بلدانها كالأسلوب التركيّ أو المصريّ، أو بحسب الاستخدام كالرقعة التجاريّ؛ ويُعتمد خطّ الرقعة عموماً لدى الأساتذة كالخطوة الأوّلى للمبتدئين في تعلّم الخطّ العربيّ.

وهنالك من الخطوط الكثير، بأسماء وأنواع وأفرع، كالطغراء، والريحانيّ، و..، وهي على جمالها وغناها، تعتمد النقطة كمقياس وأسّ وأساس.

*اللوحات للفنان محمد عماد مكّوك

حسيب م. عدي

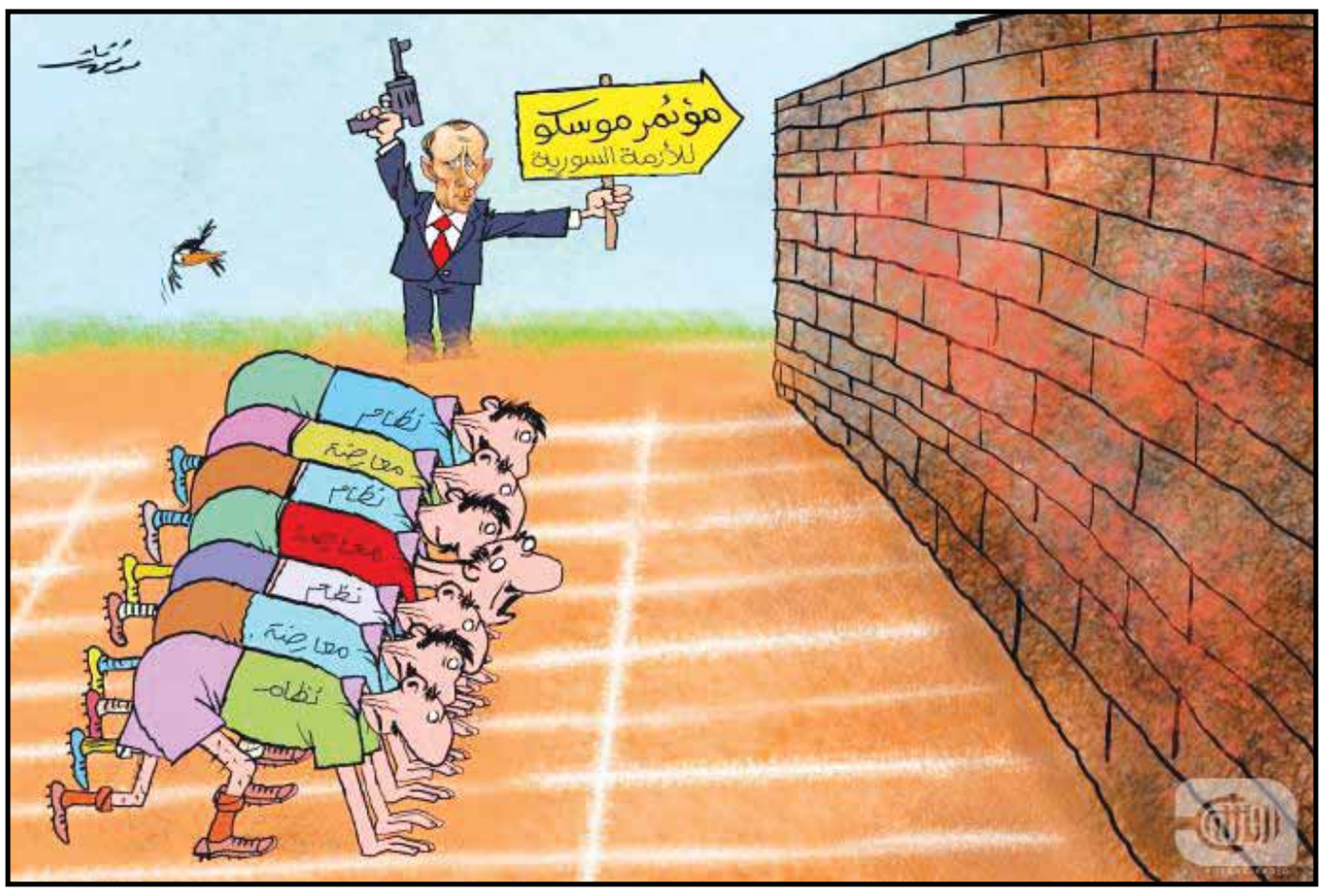

بدنا نحكي

سفيرنا إلى العالميّة

حلَّ السيّد نزار الحراكي سفير الائتلاف الوطنيّ لقوى الثورة والمعارضة السوريّة في قطر، وبتصريح صحفيّ، المشكلة الأعقد التي يعاني منها السوريّون الممنوعون من السفر بسبب انتهاء المدّة الزمنيّة المسموح بها في جوازات سفرهم. والسيّد الحراكي يعلن وبالفم الملآن أنّ التجديد سيكون بشكل دائم حتّى سقوط نظام بشّار الأسد.

ويستتبع تصريحه الأوّليّ بشروحات إضافيّة يوضّح فيها:

«أنّه سيجري تجديد جوازات سفر السوريّين بداية في قطر، ثمّ في دول مجلس التعاون الخليجيّ، ثمّ في جميع أنحاء العالم التي يوجد فيها سوريّون» ولا أعرف لماذا ذكّرتني هذه الثقة الزائدة بالنفس بهتاف سمعناه في جامعة دمشق وكأنّني أسمعه من جديد هنا أنت يا سيّد حراكي قليل عليك أن تكون سفيراً للائتلاف في قطر فقط عليك أن تكون سفيراً عالميّاً فوق الأوطان. فالسيّد الحراكي يعلن بداية فتوحاته الدبلوماسيّة من قطر ولكنّه يعد بالتمدّد نحو العالم بأسره.

وتأكيداً على صدقيّته، يشرح لنا السيّد الحراكي أنّ الدول التي راسلتها السفارة وعددها ٥٢ بخصوص تجديد جوازات سفر السوريّين، ولم تعترض على هذا الأمر إلّا دولة وحيدة وهي كندا، لكنّه لم يبيّن لنا أنّ باقي الدول لم تردّ عليه بالأساس، فقط الكنديّون تعاملوا معه جديّاً وأجابوه بالرفض مع تساؤل وردّ في كتابهم حول تحديد الصفة التي تمّت بها المراسلة، وأنّ باقي الدول لم تردّ بالأساس، لم ترفض ولم تقبل، ولم تتعامل مع الكتاب المرسل من قبل السيّد الحراكي بأنّه ذا صفة، ولكن وحسب تربيتنا في مجتمعاتنا الشرقيّة اعتبر السيّد السفير أن السكوت علامة الرضا.

كثيرون حذّروا من مغبّة هذا التصرّف، وبأنّه غير قانونيّ، وأنّه قد يوقع السوريّين في مطبّات جديدة ليس أوّلها تهمة التزوير العلنيّ، وكان آخرهم السيد خالد خوجا رئيس الائتلاف الذي حذّر وبتصريح علنيّ من عواقب مثل هذا التصرّف، وبلا شرعيّته ولا قانونيّته، لكنّ السيّد الحراكي يعيد في اليوم التالي وبتصريح جديد شرعيّة ما يقوم به وكأنّ الذي صرّح قبل ساعات ليس رئيسه المباشر وليس رئيس الائتلاف، وكأنّنا به يقول لنا جميعاً:

«بتقلو تيس بقلك احلبوا».

وللأسف حتّى اللحظة، لم يتم إصدار أيّ قرار رسميّ من الائتلاف يمنع سفيره من التجاوز، ولم يصدر عنه أيّة وثيقة رسميّة تحذّر من أخطار هذا الإجراء ما عدا التصريح الشفهيّ لرئيسه، وما يؤسف أكثر أن يتمّ التعامل مع قضيّة في هذا الحجم ومن أشخاص مسؤولين على أساس فقط صفحات الفيسبوك، حتّى الوزارة العتيدة حين تذكّرت الموضوع تذكّرته بتصريح لفخامة رئيسها نشرته على صفحتها الزرقاء.

الحراكي يتجاوز الجميع ويزيد من مآسي السوريّين والكلّ صامت!!

حسين برو

أكبر أرباح لشركة في التاريخ

أعلنت عملاق التكنولوجيا الأمريكيّة آبّل عن أكبر أرباح في التاريخ تحقّقها شركة عامّة في ربع عام.

فقد أعلنت آبّل عن أرباح قيمتها ١٨ مليار دولار في ربعها الماليّ الأوّل، متفوّقة على أرباح عملاق النفط إيكسون موبيل في الربع الثاني من ٢٠١٢ والتي بلغت ١٥,٩ مليار دولار.

لكلّ مقام مقال

في السنويّة الثالثة

بعد مرور ثلاث سنوات، للمرّة الأولى أتجرّأ أن أتكلّم علناً عنه، ابن عمّتي الذي لا أحمل معه إلّا ذكريات قليلة من الطفولة، فبسبب البعد الجغرافّي لم تسنح الفرصة لتكوين الكثير، وابتعادنا حين كبرنا، ففي عائلتي لا يجتمع الشباب والصبايا حين يكبرون، ولا يلعبون سويّة كما في الطفولة، ثمّ جاءت وفاة عمّتي، ليقطع زوجها كلّ علاقة بأقاربها.

كان يجب أن يكون اليوم مثلي، في عمر السادسة والعشرين، لكنّه توقّف عند عمر الثالثة والعشرين، كان الهاتف الأخير، الذي أخبرنا خلاله أنّه في حمص، فكان قد انشقّ عن قطعته العسكريّة من خدمة الجيش الإلزاميّ، لينضمّ لصفوف الثوّار في حمص (بدن يانا نقوّص عالعالم) كان قد حسم خياره وانضمّ إلى جهة الشعب، تلك كانت كلماته الأخيرة لنا. بعد أسبوع وصلنا نبأ استشهاده.

كان خبر انضمامه لصفوف الجيش الحرّ حينها صدمة لي، فأنا التي كنت ملتزمة بمبادئ السلميّة ورفض السلاح الذي لن يجرّنا سوى إلى الدمار، متمسّكة بها ومجادلة في جدواها وضرر السلاح، متمسّكة ومقاتلة لهذه المبادئ بأظفاري وأسناني أمام الطوفان الكاسح للسلاح وأنصاره، فكان وجود ابن عمّتي بينهم سبباً لأعيش بعض الأفكار المزدوجة، فبين خوفي عليه ودعائي بأن يحميه الله ويثبّت خطاه، وبين رفضي لفعله لتنافيه مع موقفي.

حين أخبرني والدي باستشهاد حسين، كنّا حينها في المطبخ مساءً، أعدّ لي كأساً من «النسكافيه» لأحضّر لامتحاناتي الجامعيّة التي كانت قد بدأت، لم أجد لأبي ردّاً سوى «هذا خياره» وعدت لغرفتي، لأبدأ تنظيم محاضراتي، ثمّ ينكبّ عليّ البكاء. لم أستوعب فكرة استشهاده في البداية، فلم يكن بكائي حزناً عليه، إنّما على نفسي وعلى ردّي البارد على أبي، كيف استقبل خبر استشهاد ابن عمّتي بهذا البرود والقسوة، كيف أحمّله سبب موته وأبرّئ قاتله، لأنّه اتّبع موقفه وإيمانه وانضمّ إلى ما أرفضه؟ كيف تمكّنت من تجاهل ذلك الحزن في عينيّ أبي، والقهر الذي كان في صوته وهو يحاول أن يتماسك ويبتلع دمعة لا يريد لها أن تُزرف، وأقول له تلك العبارة الجوفاء وأمضي دون أن ألتفت إليه، أو حتّى أعزّيه؟

مضى العام وأنا أتجاهل الحدث، أتجاهل الحديث عنه، أو حتّى التفكير فيه بيني وبين نفسي، لتكون السنويّة الأولى، اليوم الذي جلست فيه مع نفسي لأنعي شهيد العائلة الأوّل، وأؤنّب نفسي على ظلمه، فلم أبكه وأحزن كما بكيت من تتالى بعده، فقد «كرّت السبحة» من بعده، وتوافد أقربائي للانضمام للجيش الحرّ والاستشهاد الواحد تلو الآخر، لكن يبقى لحسين مكانة خاصّة، لأخفّف من حدّة تأنيب ضميري، الذي لا يكفّ عن تذكيري بقسوتي وبرودي اتجاه خبر الرحيل.

في السنويّة الثانية، كنت غارقة بانتقال المعركة إلى حلب، واعتقال العديد من أصدقائي، لم أنتبه لليوم، فقد كانت الأيّام مكثّفة، فضاع منّي التقويم والأيّام، مضت سنويّة استشهاده الثانية دون أن أبكي، أو أن أقرأ الفاتحة على روحه.

اليوم وفي السنويّة الثالثة، أفرح أنّه رحل مبكّراً، رحل قبل أن يتلوّث، لقد رحل حسين نقيّاً كما كان، كما عرفته دائماً.

لم يعد بمقدوري البكاء، فعائلتي تقلّصت إلى النصف بين شهيد ومفقود، أصدقائي بين معتقل ولاجئ. اعتدتُ الغياب والرحيل يا حسين، لم أعد أستطيع البكاء، فقط أبتسم في وجه غيابك الثالث سنويّتك الثالثة، محاولة استرجاع بعض من ملامحك، وأغفر لك تعارضك مع سلميّتي، فقد ملكتَ الشجاعة لتحيّ خيارك، وتموت لأجل ما آمنت به، لأجل حرّيّتي وحرّيّتك وحرّيّة بلدنا وتطهيرها من عقود الاستبداد والخضوع. ابتسم لأنّك لا تدري أنّك أخذت الموت، وبقيت لنا المذلّة.

لينا الحكيم

الحرّيّة الحرّيّة الحرّيّة

في صباح ٩ كانون الأوّل ٢٠١٣، اختُطف أربعة ناشطين حقوقيّين سوريّين بمدينة دوما في ريف دمشق، تبيّن عمليّة الاختطاف هذه مدى خطورة التطوّر الذي تشهده الثورة السوريّة.

فقد قامت مجموعة مجهولة بمداهمة مكتب مركز توثيق الانتهاكات في سورية، واختطاف الناشطة رزان زيتونة وفريق عملها المكوّن من: وائل حمّادة، سميرة خليل، وناظم حمّادي، واقتادتهم إلى جهة غير معروفة.

وبحسب المعلومات فإنّ عمليّة الاختطاف قد تمّت في منطقة لا يتواجد فيها النظام السوريّ، إنّما تؤدّي في نهاية المطاف إلى تقديم خدمة للنظام الذي حارب بكلّ جهده الناشطين السوريّين بكلّ ألوانهم وأطيافهم، من خلال القتل والاعتقال والتعذيب والتشريد، ليس خلال الثورة السوريّة فحسب وإنّما على امتداد عقود حكمه الطويلة التي خيّمت على سورية بمظلّة سوداء داكنة من الظلم والقهر.

الحرّيّة لـ : رزان زيتونة، وائل حمّادة، سميرة خليل، وناظم حمّادي، وجميع المعتقلين في سجون الاستبداد على اختلاف أنواعه.

دماغان بشريّان يتّصلان ببعضهما إلكترونيّاً!

استطاع فريق بحثيّ في جامعة «هارفارد» من الربط ما بين دماغ رجل بذيل جرذ، بحيث كان بوسع الرجل تحريك الذيل بمجرّد التفكير. وتمكّنت مجموعة بحثيّة في جامعة «واشنطن» من إقامة اتصال بين عقلين عبر وسيط إلكترونيّ، بحيث جعل اليد تدقّ على لوحة مفاتيح (كيبورد) بشكل لا شعوريّ.

مارقة إلى فاشلة

صدر كتاب «كيف تحوّلت سورية من دولة مارقة الى دولة فاشلة» لروبرت آي روتنبرغ وسيث د. كابلان. يتناول فيه المؤلّف بلغة علميّة، إحصائيّة، وأرقام وخرائط، مختلف الأشكال التي جعلت سورية تنتقل من دولة مارقة إلى فاشلة.

الكتاب صدر عن (رياض الريّس للكتب والنشر- بيروت) في ٤٠٠ صفحة من القطع المتوسّط.

الائتلاف يشبه لوحة فنّيّة لكنّها ليست حقيقيّة إنّما هي لوحة (بزل) قطعها محدّدة ومحسوبة، ويتمّ تركيبها بين فترة وأخرى على هوى من يقوم بتركيبها.

على الشعب السوريّ أن ينتظر فنّانه الذي يستطيع أن يرسم لوحة حقيقيّة وبألوان زيتيّة حقيقيّة تعبر عنه... لوحة تمثّل سورية وشعبها.

Fouad Eliaa

يهدف لقاء القاهرة إلى تشكيل كيان جديد للمعارضة من شخصيّات لا وزن لها، بإيعاز خليجيّ ورعاية مصريّة، ترحّب بجميع الحلول وأهمّها بقاء الأسد في السلطة.

RajwaAlMallouhi

من بنود لقاء موسكو «عدم قبول أيّ وجود أجنبيّ على أراضي سورية دون موافقة حكومتها «! أعطوا ضوءاً أخضر للميليشيات الشيعيّة.

tojjarthawratsy

(فيديو) وصيفة ملكة الجمال تشدّها من شعرها وتنتزع منها التاج.

حين أعلن فوز إحداهن بلقب ملكة جمال شمال الأمازون هجمت الوصيفة الأولى بغضب واضح على ملكة الجمال المنتخبة وقد ثارت أعصابها من الغيرة، فشدتها من شعرها وانتزعت عن رأسها التاج، وطرحته أرضاً على مرأى من الحضور والكاميرات. شاهد!

https://www.youtube.com/watch?v=OBLbqZZjek4

المدير العام: توفيق دنيا
رئيس التحرير: بسّام يوسف
هيئة التحرير: حسين برو - بشّار فستق - غزوان قرنفل - ثائر موسى - عزّة البحرة
الاخراج الفني: منير الأيوبي
فريق العمل: سكرتاريا : نور العبدالله - التدقيق اللغوي : فلك الخالد - الموقع الإلكتروني : باسل العبدالله
الآراء الواردة في كلّنا سوريّون تعبّر عن رأي الكاتب و لا تعبّر بالضرورة عن رأي الصحيفة